الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبية
وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي
جامعة– سعيدة – د. الطـــاهر مولاي
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة للسانس (ل.م.د)، التخصص : لسانيات عامة (ل.م.د)

بطاقة فنية لكتاب البيان والتبيين للجاحظ

إعدادالطالبة:
✍ عامر خديجة
✍ عامر صابرينة

إشـــــراف الدكتورة:
✍ د .كريم بن سعيد

السنة الجامعية : 1440هـ/ 1441هـ*** 2019م/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" النحل آية-103

صدق الله العظيم.

نعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل.

الهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

تتسابق الكلمات وتتراحم العبارات لتنظم عقد الشكر الذي لا يستحقه إلا أنت إلى من كان له قدم لسبق في ركب العلم والتعليم إلى من زرع التفاؤل في دربنا وكان نورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا أستاذنا

"كريـــــــــــــم بن سعيد" نهدي له عبارات الشكر والتقدير

ونخص بالجزيل والشكر والعرفان من أشعلوا شمعة في درب عملنا ومدوا لنا يد العون عمال المكتبات علي، كريم، عبد القادر.

ونقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حصلوا أقدس رسالة في الحياة ومهدوا لنا

اهداء

كلمة حب ووفاء وأي ابتسامة عرفان وجميل.....وأي رسالة ذوق وإخلاص أهديها اليك يا أمي

"هواريـــــــــــــــــــــة"

لك يا شجرتي التي لا تطيل الى الظل الذي أرى إليه في كل حين يا منبع الأمال وجسدي إليك أرث شوقي وحنيني أنت أبي في نظر العالم وفي نظري أنا أنت العالم إليك يا أغلى الناس أبي الحبيب

"ميلـــــــــــــــــــــود"

إلى الذي كان الطريق الواضح والمصباح النير الذي أرى به تعبيراتي وأصحح به خطواتي يا مهديا لي أخطائي أهدي إليك عملي أستاذي الكريم "كريم بن سعيد"

إلى الدافئة قلوبهم، الصادقة نظراتهم، العذبة كلماتهم، أهدي هذا العمل إلى إخوتي: هاجر، عائشة، حنان، سندس، خيرة.

إلى ملائكتي الصغار: شيماء، نجاة، هدى.

إلى رفيق دربي بل أبي الثاني إلى من بوجوده أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها أخي "حبيب"

إلى التي وضعت على مرفقتي جناحين من الصعود إلى التي جاهدت معي بالليل والنهار وكابدت في العال والترحال وتحملت الرضى والغضب ولما اشتد بي الكرب وقتك بي اليأس جاء جنانها محرارا فنفست الكربة وأضاءت الليل الملوك، إلى من تحركت معي عذوبة العذاب وكانت الرفيق الصابر في زمن قل فيه المناصر "خديجة"

إلى كل صديق وفي حميم ذاق حلاوة الصداقة فراح يبذل في مسمارها بلا حدود إلى الصديقات وأكثر من الأخوات اللواتي قاسمت معهن حدة البحوث وعلى طلب السمة في الطريق المحثوث أمينة، هدى، سهاد، فاطمة الزهراء.

إهداء

بأنها هل تحيط بقلم التعب والأرق سوف أضع كلمات لكل من ترك بسمة في حياتي وعبر عن مجراها.

إهدائي إلى:

أرمز الحظ إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي "ربيـــــــــــــــحة"

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي الغالي "الحاج"

إلى من أضاء بعلمه عقل غيره، وهدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه، فأظهر بسماحته تواضع العلماء وبرحاجته سماحة العرافين أستاذي الكريم "كريم بن سعيد"

إل رفيق دربي بل أبي الثاني إلى من بوجوده اكتسب قوة ومحبة لا حدود لها أخي "محمد" إلى من كانوا ملاذي وملجئي، إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إلى من رافقوني من الصغر وساروا معي خطوة بخطوة أخواتي زهرة، سعاد، نادية.

إلى التي لم تلدها أمي إلى من معها سعدت وبرفقتها في درب الحياة الحلوة والمزينة، صرته إلى من كانت معي على طريق النجاح والخير "صابرينة"

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إلى من جعلهم الله إخوتي في الله هدى، أمينة، فاطمة، ريم، مروة.

وإلى كل من يجمع بين سعادتي وحزني وإلى من أتمنى أن أذكرهم إذا ذكروني إلى من أن أتمنى أن تبقى صورهم في عيوني إلى كل من سأفتقدهم أتمنى أن يفتقدوني

إلى كل من أشعرني بأنني لست وحيدة في مجتمع مختلف.

مقدمة

– ينـدرج بحثـي هـذا الموسـوم باسـتراتيجية القنـاع في كتـاب البيـان والتبيـين "للجـاحظ" في إطـار تطبيـق النظـريات اللسـانية المعاصـرة علـى اللغـة العربيـة، ذلـك لقناعـة راسـخة بامكانيـة تنـاول الخطـاب العـربي القـديم منـه والحـديث مـن خـلال تصـور ابتيمـواوجي ثـري بأفكـار ومبـادئ وتطـورات، قـد يراهـا الـبعض مخالفـة للطـرح العـربي، لكنهـا في حقيقـة الأمـر شـئنا أم أبينـا هـي امتـداد لسلسـلة المعرفـة البشـرية، فـلا قطيعـة في مجـال اسـتمرارية العلـوم والفلسـفات لأن مجـال المعرفـة يؤكـد أن النظريـة اللسـانية الحديثـة مـاهي الا تطـور المباحـث ودراسـات سـنتها الأمـم القديمـة عنـد الغـرب، كمـا تطـورت النظريـة المعرفيـة العربيـة علـى يـد علمـاء اللغـة والأصـول وتحديـدا في مجـال التفسـير الـتي لـو أتـيح لهـا الإطـار المنهجـي والنظري لبسطها لكانت أسبق في مجال التداولي عن تلك التي تنسب اليوم الى الغرب.

والملاحـظ في صـيرورة البحـث اللسـاني الحـديث أنـه يقـف عنـد العديـد ن التسـاؤلات الـتي ظـل يطرحهـا البـاحثون اللسـانيون وفلاسـفة اللغـة علـى حـد سـواء، إذا كـان أبـو عثمـان الجـاحظ يهـدف مـن وراء تأليـف كتابـه " البيـان والتبيـين" الى تحقيـق غايـة الفهـم والإفهـام بـين قطـبي عمليـة التواصـل وهمـا المـتكلم والمتلقـي حظـي فكـر أبي عثمـان الجـاحظ وأثاره بعنايـة الدارسـين منـذ القـدم الى يومنـا هـذا فـأثمرت هـذه العنايـة كثـرة مصـنفات والدراسـات ورغـم هـذه الكثـرة لم تعثـر علـى مؤلـف أفـرده صـاحبه لمعالجـة موضـوع "عيـوب النطـق" ولعـل الاهتمـام بلسـانيات العصـر الحـديث مـرده الى رغبـة الانسـان في تلمـس أسـرار اللغـة والوقـوف علـى تجلياتهـا فهـي وسـيلتنا للتواصـل وبهـا يعـبر عـن أفكـارنا وننسـج مشـاعرنا وهـي الوسـيلة في التبـادل الكلامـي لكـن ظلـت اللغـة لأن جـزء منهـا غـامض ولم يكشـف بعـد إلا أن العلمـاء والمفكـرين بادروا في إزاحـة الغمـوض ومـا يتغللهـا مـن لـبس وإبهـام ومـن

بين هؤلاء المفكرين وأبو عثمان والمشهور بالجاحظ المتميز بحسه العلمي الفائق والذي تمكن من إدراك المفاهيم في الجانب لمستويات اللسانية وكذا من خلال مؤلفاتها الساطعة في سلم النجاح وخصوصا كتاب البيان والتبيين الذي أشرق كإشراقة شمس الربيع بين الغيوم المتناثرة وبين نظرات وتأملات متفرقة في اللغة فهو موسوعة ليس في الأدب وحسب بل في اللغة أيضا وبناءا على ما تقدم ذكره من أفكار.

وباعتبار مدونة البيان والتبيين تنجذب اليه جهود الكثيرين من الدارسين مثله مثل كل النصوص التراثية، التي يتشرف دارسوها بكفاءتها المعرفية، فإن هؤلاء الدارسون وعلى اختلاف مناهجهم وفلسفاتهم، يجمعون في البحث والدرس بين آليات الطرح الجديد وكذا القديم لما تحمله هذه النصوص من خصائص لغوية ودلالية، تجد فيها كل المناهج والدراسات الحديثة ضالتها وبخاصة المنهج الذي تعددت مدارسه وطرق اشتغاله اللساني، والفلسفي والتواصلي.

ولعل أبرز أسباب اختيارنا لهذا البحث هو شغفنا الكبير دراسة كتاب البيان والتبيين واكتشاف أسراره ومكوناته اللغوية وهذه الرؤية تثبت العديد من الإشكالات التي تبادرت في أذهاننا أهمها ما مفهوم البيان؟ وما الخطابة وأنواعها؟ ومن هنا اتبعنا خطة البحث وكانت كالآتي: مقدمة وكانت عبارة عن تمهيد للموضوع وثلاثة فصول وكل فصل يحتوي على مباحث الفصل الأول يندرج تحت عنوان مفهوم البيان وأنواعه وأفات اللسان، المبحث الأول البيان والمبحث الثاني: ذكر اللسان أما المبحث الثالث: الصمت، أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان أصل اللغة وقيمة الشعر، المبحث الأول: البيان في الشعر والمبحث الثاني في رد الجاحظ على الشعرية والفصل

الثالـث: الخطابـة وطبقـات الشـعرية، المبحـث الأول تعريـف الخطابـة، المبحـث الثـاني أنواعهـا ونمـوذج تطبيقي.

معتمـدين علـى المـنهج الوصـفي التحليلـي ومـن أهـم الصـعوبات الـتي واجهتنـا جائحـة الكـورونا وغلـق المكتبـات وقلـة المصـادر والمراجـع ومـن أهـم المراجـع الـتي اعتمـدنا عليهـا البيـان والتبيـين للجـاحظ، حـاتم قـدوري محمـد الدراسـات الصـوتية عنـد علمـاء التجويـد. ينـدرج بحثـي هـذا الموسـوم باسـتراتيجية القنـاع في كتـاب البيـان والتبيـين "للجـاحظ" في إطـار تطبيـق النظـريات اللسـانية المعاصـرة علـى اللغـة العربيـة، ذلـك لقناعـة راسـخة بامكانيـة تنـاول الخطـاب العـربي القـديم منـه والحـديث مـن خـلال تصـور ابتيمـواوجي ثـري بأفكـار ومبـادئ وتطـورات، قـد يراهـا الـبعض مخالفـة للطـرح العـربي، لكنهـا في حقيقـة الأمـر شـئنا أم أبينـا هـي امتـداد لسلسـلة المعرفـة البشـرية، فـلا قطيعـة في مجـال اسـتمرارية العلـوم والفلسـفات لأن مجـال المعرفـة يؤكـد أن النظريـة اللسـانية الحديثـة مـاهي الا تطـور المباحـث ودراسـات سـنتها الأمـم القديمـة عنـد الغـرب، كمـا تطـورت النظريـة المعرفيـة العربيـة علـى يـد علمـاء اللغـة والأصـول وتحديـدا في مجـال التفسـير الـتي لـو أتـيح لهـا الإطـار المنهجـي والنظـري لبسـطها لكانـت أسـبق في مجـال التداولي عن تلك التي تنسب اليوم الى الغرب.

والملاحـظ في صـيرورة البحـث اللسـاني الحـديث أنـه يقـف عنـد العديـد ن التسـاؤلات الـتي ظـل يطرحهـا البـاحثون اللسـانيون وفلاسـفة اللغـة علـى حـد سـواء، إذا كـان أبـو عثمـان الجـاحظ يهـدف مـن وراء تأليـف كتابـه " البيـان والتبيـين" الى تحقيـق غايـة الفهـم والإفهـام بـين قطـبي عمليـة التواصـل وهمـا المـتكلم والمتلقـي حظـي فكـر أبي عثمـان الجـاحظ وأثاره بعنايـة الدارسـين منـذ القـدم الى يومنـا

هـذا فـأثمرت هـذه العنايـة كثـرة مصـنفات والدراسـات ورغـم هـذه الكثـرة لم تعثـر علـى مؤلـف أفـرده صـاحبه لمعالجـة موضـوع "عيـوب النطـق" ولعـل الاهتمـام بلسـانيات العصـر الحـديث مـرده الى رغبـة الانسـان في تلمـس أسـرار اللغـة والوقـوف علـى تجلياتهـا فهـي وسـيلتنا للتواصـل وبهـا يعـبر عـن أفكـارنا وننسـج مشـاعرنا وهـي الوسـيلة في التبـادل الكلامـي لكـن ظلـت اللغـة لأن جـزء منهـا غـامض ولم يكشـف بعـد إلا أن العلمـاء والمفكـرين بادروا في إزاحـة الغمـوض ومـا يتغللهـا مـن لـبس وإبهـام ومـن بـين هـؤلاء المفكـرين وأبـو عثمـان والمشـهور بالجـاحظ المتميـز بحسـه العلمـي الفـائق والـذي تمكـن مـن إدراك المفـاهيم في الجانـب لمسـتويات اللسـانية وكـذا مـن خـلال مؤلفاتهـا السـاطعة في سـلم النجـاح وخصوصـا كتـاب البيـان والتبيـين الـذي أشـرق كإشـراقة شمـس الربيـع بـين الغيـوم المتنـاثرة وبـين نظـرات وتأمـلات متفرقـة في اللغـة فهـو موسـوعة لـيس في الأدب وحسـب بـل في اللغـة أيضـا وبنـاءا علـى مـا تقدم ذكره من أفكار.

وباعتبـار مدونـة البيـان والتبيـين تنجـذب اليـه جهـود الكثـيرين مـن الدارسـين مثلـه مثـل كـل النصـوص التراثيـة، الـتي يتشـرف دارسـوها بكفاءتهـا المعرفيـة، فـإن هـؤلاء الدارسـون وعلـى اخـتلاف منـاهجهم وفلسـفاتهم، يجمعـون في البحـث والـدرس بـين آليـات الطـرح الجديـد وكـذا القـديم لمـا تحملـه هـذه النصـوص مـن خصـائص لغويـة ودلاليـة، تجـد فيهـا كـل المنـاهج والدراسـات الحديثـة ضـالتها وبخاصـة المنهج الذي تعددت مدارسه وطرق اشتغاله اللساني، والفلسفي والتواصلي.

ولعـل أبـرز أسـباب اختيـارنا لهـذا البحـث هـو شـغفنا الكبـير دراسـة كتـاب البيـان والتبيـين واكتشـاف أسـراره ومكوناتـه اللغويـة وهـذه الرؤيـة تثبـت العديـد مـن الإشـكالات الـتي تبـادرت في أذهاننـا أهمهـا

مقـــــدمة :

مـا مفهـوم البيـان؟ ومـا الخطابـة وأنواعهـا؟ ومـن هنـا اتبعنـا خطـة البحـث وكانـت كـالآتي: مقدمـة وكانـت عبـارة عـن تمهيـد للموضـوع وثلاثـة فصـول وكـل فصـل يحتـوي علـى مباحـث الفصـل الأول يندرج تحـت عنـوان مفهـوم البيـان وأنواعـه وأفـات اللسـان، المبحـث الأول البيـان والمبحـث الثـاني: ذكـر اللسـان أمـا المبحـث الثالـث: الصـمت، أمـا الفصـل الثـاني فكـان تحـت عنـوان أصـل اللغـة وقيمـة الشـعر، المبحـث الأول: البيـان في الشـعر والمبحـث الثـاني في رد الجـاحظ علـى الشـعرية والفصـل الثالـث: الخطابـة وطبقـات الشـعرية، المبحـث الأول تعريـف الخطابـة، المبحـث الثـاني أنواعهـا ونمـوذج تطبيقي.

معتمـدين علـى المـنهج الوصـفي التحليلـي ومـن أهـم الصـعوبات الـتي واجهتنـا جائحـة الكـورونا وغلـق المكتبـات وقلـة المصـادر والمراجـع ومـن أهـم المراجـع الـتي اعتمـدنا عليهـا البيـان والتبيـين للجـاحظ، حاتم قدوري محمد الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

مدخل

الجاحظ هو ابو عثمان بن عمرو بن بحر الحافظ لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أي نشتهما على خفة روحه و ظرف حديثه و حسن عشرته و فكاهته الطبيعية كانت تستلي دمامة خلقه و تجعل الناس يقبلون على معاشرته و ذلك لاستماع لحديثه و التفكهبفكاهيته الطريفة.

ولد الجاحظ في البصرة و نشأ فيها رغبة في العلم و كان يخالط المسجدين فاخذ العلم من الشيخوخة و الادب على أئمة و صار عالما في حياته الى ان توفي في البصرة بعد ان نفي الثمانين و من مؤلفاته البخلاء كتاب الحيوان الرسائل.

نسب و مولد الجاحظ: ينسب الجاحظ الى بني كنانة و هو بصري و قد نشا عصاميا و معتمدا على نفسه في كسب رزقه كما احب العلم و اللغة و الادب فتعلمها على ايدي العلماء البصريين و كان واسع الثقافة و العلم فجمع مختلف ظروف الثقافة و العلم في زمانه اما تاريخ ميلاده فلم يحدده المؤرخونبدقة كما انه هو بنفسه كان لا يعلم ذلك التاريخ و قد روي ياقوت انه ولد سنة 150 هـ مستندا الى خبر الجاحظ نفسه الذي جاء فيه لكن ليس معروفا و قد جعل بعص المؤرخين ولادة الجاحظ سنة 150هـ 159هـ او 160 او 163 او 164 كما جعل اصحاب التراجم ابا يوسف القاصي المتوفي سنة 182 استاذا للجاحظ في علم للحديث اما التاريخ الصحيح للمعروف هو تاريخ وفاة الجاحظ و هو سنة 225 هـ .

نشأة و حياة الجاحظ: عاش الجاحظ قرابة المئة عام و كان العصر الذي عايش به عصر الازدهارلكافة العلوم العربية و الاسلامية فقدتبوات اللغة العربية في تلك الفترة كما نشطت حركة الترجمة و النقل عن الثقافات الاجنبية و قد شهدت و قد شهدت الدولة الاسلامية ايضا نهضة و رقيا في كافة ميادين الحياة.

كان الجاحظ ذكيا جدا وصولا على طلب العلم و قد تتلمذ على يدي فحول العلم و الادب حينذاكفقد اخذ اللغة و الادب عن الاصمعي و ابي عبيدة و النحو عن الاخفش و الحديث عن حجاج بن محمد و ابي يوسف صاحب ابي حنيفة ثم تثقف الاعتزال و كان اهم اساتذته في ذلك النظام فكان المعتزلة يهتمون بالاطلاع على الديانات الاخرى و معرفتها جيدا لانهم جعلوا من انفسهم دعاة للإسلام و كانوا يعتقدون ان عليهم ان يكونوا على معرفة تامة بدينهم و بالديانات الاخرى فدرسوا الفلسفة اليونانية لان اعداءهم كانوا قد اتخذوها وسيلة الدعوة الى دينهم لذا درسوا ثقافة ارسطو و ما فيها من علم الحيوان و صبغوها بطابعهم الديني.

كان الجاحظ شديد الواقع بالقراءة و المطالعة حتى انه كان قد استأجر دكاكين الوراقين و يعين فيها للقراءة و الدراسة و قد اندمج في الحياة الواقعية و استفاد منها و تنوعت المواضيع التي درسها و كتب فيها و منها الحيوانات و النباتات و قدكان اندماج الجاحظ في المجتمع و اختلاطه بكافة مجالسة الادباء و الشعراء و الملوك و الامراء الاثر الواضح في تنمية معرفته و زيادة تجاربه.

علـم و ثقافـة الجـاحظ: كـان الجـاحظ في بداياتـه يعـيش حيـاة بسـيطة فقـد نشـا في طبقـة اجتماعيـة فقـيرة مكتسـبا قوتـه مـن عمـل يديـه و رغـم ذلـك فهـو لم يـترك العلموالمطالعـة فكـان يعمـل و يـتعلم في ان واحـد و كـان يحضـر الـدروس في المسـجد ثم اتصـل بالشـيوخ و الائمـة آنـذاك و اخـذ عـنهم كمـا سـبق الـذكر كمـا خـالط عـلام الترجمـة و الكتابـة و قـد اشـير لـه مـن الكتـب المترجمـة ايام المنصـور و الرشـيد و المـأمون و مـن الجـدير بالـذكر ان المكتبـات العامـة لم تكـن متـوفرة في تلـك الفـترة اي في اواخـر القـرن الثـاني للهجـرة كمـا كانـت الكتـب نادرة و غاليـة جـدا فلـم تكـن امكانيـة الجـاحظ الماديـة تسـمح لـه بشـرائها لـذا كـان يحصـل عليهـا عـن طريق اساتذته و اصدقائه الذين كانو يضعون مكتباتهم تحت تصرفه.

اشـتملت ثقافـة الجـاحظ علـى كافـة العلـوم المعروفـة في عصـره فـدرس المنطـق و الفلسـفة و الرياضـيات و الطبيعيـات و السياسـة و الاخـلاق و الفراسـية فقـد ابـدع فيهـا جميعهـا و قـد تكونـت لديـه ثقافـة متنوعـة و غريـزة وحـين ذلـك انتقـل الى بغـداد ليزيـد معرفيـة اطلاعـه ثم اتصـل فيهـا بالكبـار مـن رجـال الـدين و علمـاء اللغـة. اعتـبر الجـاحظ مـن اغـرر المـؤلفين انتاجـا فكتـب عـن الـدب و الشـعر والـديانات و العقائـد و الامامـة و للنبـوة و المـذاهب الفلسـفية و بحـث في السياسـة و الاقتصـاد و الاخـلاق و طبـائع الاشـياء و تكلـم عـن العصـبية و تاثـير البيئـة و نظـر في العلـوم التاريخيـة و الجغرافيـة و الطبيعـة فكتـب في المـدن و الامصـار و المعـادن و جـواهر الارض و الكيميـاء و النبـات و كتـب في الجـواري و الظلمـان و العشـق و النسـاء و النـرد و الشـطرنج و غـير ذلـك ممـا تنـاول الحيـاة الاجتماعيـة و الادبيـة و العلميـة في عصـره و

قبل عصره اما عن العلماء و الشيوخ الذين اخد عنهم الجاحظ فقد قال عن ذلك ابو الحسن الدهماني لا ريب ان الجاحظ عتماء و شيوخ اخذ عنهم العلم في شتى فروعه فقد سمع من الاصمعي و كان كثير الرواية عنه و ابو عبيدة عمر بن المثلي و ابي زيد الانصاري و اخذ النحو عن ابي الحسن الاخفش و كان صديقه و اخذ الكلام عن النظام ثم انه تلقف للفصاحة من العرب شفاهة بالمزيد و كذلك اخذ عن استاذ الاصمعي خلف الاعمر الذي اشتهر برواية الشعر و نحله و كان الجاحظ معجب بخلفاء كثيرا رغم انه لم يجلسه الا قليلا فقال الجاحظ في ذلك لقد حسبت لابي عبيدة و الاصمعي و يحي بن نجيم و ابي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من اواة البغداديين فما رايت احدا منهم قصة الى الشعر في التسيب فاسنده و كان خلف يجمع ذلك كله ثم ان الجاحظ كان قد اكتسب الثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام و عن طريق مصاحبته لحنين بن اسحاق و سلهويه.

نزعة الجاحظ العقلية: امتازت مدينة البصرة في العصر العباسي بنزعتها العقلية في مختلف الميادين و التي قامت على تحكيم العقل في الامور مثل الاسطورة و تقبل ما قد يتوصل اليه العقل حتئ و ان خاف هذا ظنه واعتقاده وكان هذا من الطبيعي ان يتاثر الجاحظ لهذه النزعة خاصة مع قابليته الطبيعية المهياة فقد كان كثير المطالعة و القراءة.

ابرز مؤلفات الجاحظ: كتب الجاحظ في كافة العلوم وفنون الادب المعروفة في زمانه كما ان كتبه تجمع بين العلم و الفائذة و البراعة في التعبير و سحر البلاغة في الاسلوب.

كما يجد القارء متعة في قراءتها بما فيها من تشويق و نوتدر و سخرية و يقال ان الجاحظ هو اول من بدا في التاليف في الادب على نهجه سار الادباء و المؤلفون كما تعتبر مؤلفات الجاحظ التي تعد بالنئات مراجع مهمة فلولاها لاندثر الكثير من الادب العربي و قد ورد في متعة قراءتها لما فيها من تشويق و نوتدر و سخرية.

رسائل الجاحظ: هي من الاثار الادبية الشهيرة التي انتشرت قديما و حديثا و طبعت عدة مرات و شرحها علماء معروفون و هي مجموعة من الرسائل النادرة التي تبحث كل واحدة منها في موضوع و لحد بعمق و استفاضة تثير الاثارة و الاعجاب لهذا العقل الجبار مما يجعل قواته الفكرية تبرز دهشتنا بعظمته كما يزيد من اهمية هذه الرسائل انها حفظت لنا نوادر من الشعر لا توجد اخرى مثل شعر لابي دلف لابن ابي فنن و سعيد بن حميد و غيرهم.

اسلوب الجاحظ اللغوي و الادبي: اشتهر الجاحظ بأسلوبه الانشائي الذي لا يوجد من الكتاب العربية من لا يتفوق عليه فهو في النثر كالبحتري في الشعر فامتاز اسلوبه الانشائي برقي الالفاظ و الجمل و السهولة و الوضوح و هذا يدل على غزارة مادته و طاعة الالفاظ له و كثرة المران على الجدل. فلم يترك الجاحظ موضوعا من مواضيع الحياة الا و كتب فيه فقد كتب في القان و التوحيد و مذاهب الفرق الاسلامية وكتب في الأدب فنونه شعراء و نثراء و جدا و هزلا.

ان أدب الجاحظ واقعي و صريح يصور حقيقة كما هي و ليرى في ذلك فندعو اليه و بعين من يرغب عنه.

امتاز اسلوب الجاحظ ايضا بالسخرية و النظر الثاقب و خصوبة الخيال و خلط الجد بالهزل و يعتبر للجاحظ هو مبتكر هذا الاسلوب و هو يرى ان للمزاحة شعبة من شعب السهولة و صور ذلك فقال و لسيد شيعي لكتب الآداب و الرياضيات ان يحمل اصحابها على الجد للصرف و عقل و المحص و الحق المر.

للجاحظ تفاقدا و شاعرا في الشعر كان للجاحظ ناقدا و شاعرا فكان يرى ان الشعر يقوم على 4 اركان : الصيغة و الصياغة اللفظية و الوزن و التصوير و هذه بعصا راء الجاحظ حول الشعر. اعتقد الجاحظ ان الشعر حديث الميلاد فعاد به الى امرئ القيس و المهلهل.

كما ارجع جذوره الى ارسطو و افلاطون في الادب اليوناني القديم كما رأى الجاحظ ان الشعر قيما منها الافردية يقود الى الشاعر للمادح للممدوح و منها اجتماعية هي تثقيف و ما يلعبه الشعر في حياة العرب فهو الذي اشاد بقتلهم كالمروءة و الكرم و الشجاعة فالشعر هو سجل مأثرهم كما ذكر الجاحظ وظيفة اخرى للشعر فنية و وظيفة نفسية كدلك لا يعتبر الشعراء كلهم في راي الجاحظ في مرتبة واحدة من حيث اجادة الشعر الجاحظ اللغوية و العلمية ان للجاحظ مكانة عظيمة بين اللغويين العرب فهو بالنسبة لهم قدوة فقد ساروا على نهجه و استطاع بما تتمتع به من المؤهلات البحث اللغوي ازاد قيمة في نشاة اللغة و تطورها و الكثير من الآراء في الظواهر الغوية و النحوية و الصرفية و

الصوتية فكتب في اللغة عن نشأة اللغة و العلاقة بين اللغات و بعصها و تفصيله بين اللغات على بعص و اول من تكلم بالعربية و اثر المجتمع على اللغة و التطور اللغوي و عيوب الكلام فما النحو فلم يتوسع الجاحظ في دراسته لتحفظه على هذا العلم و للخوص في بحوثه على الرغم من علمه بقضايا النحو الكبرى التي عرض بعضها في عينيه من قضية الجمع و قضية التركيب الاضافي و فضية المؤنث و المذكر و قصية التصغير كما اهتم الجاحظ بالثقافة الصوانية فتحدث عن الجهاز الصوتي و مخارج بعض الاصواتو مخرج المواد و القوانين الصوتية و اصوات الامم.

شيخوخة و وفاة الجاحظ: قدر للجاحظ ان يعيش طويلا فقد قلب الايام و قلبته نهب من تجاربها ما اغنى غنم و فكرة و لكن المرض هذه في شيخوخته فقد اصيب بالفالج و في هذا المكان يقول اصطلحن على جسدي الأضاد ان اكلت باردا اخد برحلي و ان اكلت حارا اخذ براسي و كان يقول انجانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به و قد مات الجاحظ وفق القصة المشهورة تحت كتبه التي انهالت عليه و كان الجاحظ قد اشتهر و ذاع صيته في العالم الاسلامي و رغم مرضه فقد قدم اليه الناس لمشاهدته و السماع منه فلا يمر اديب او عالم الا طلب ان يرى الجاحظ و يكلمه وكان اذا طلب احد ان يراه قال و ما تصنع بشق مائلو لعاب سائل و لون حائل و قد توفي الجاحظ في محرم سنة خمسة و خمسين مائتين بالبصرة عن عمر يناهز 95 سنة و نيف رحمه الله.

من اهم اثاره العلمية " ابرز مؤلفاته":

الـف الجـاحظ كتابـه " البيـان" و هـو احـد الاصـول المـذكورة في اواخـر ايامـه تعصـبا للعـرب و فصـاحتهم و تبيـانهم فهـو في مضـمونه و غاياتـه في الـدفاع عـن البيـان العـربي في مختلـف مظـاهره و تحـدث فيـه عـن الالفـاظ و فصـاحتها و الافكـار و الاسـاليب و تناسـب اللفـظ و المعـنى كمـا ملئـه بالأخبـار و النـوادر و الطرائـف و الشـعر و شـواهد القـان الكـريم و الحـديث الشـريف و الخطـب و الخطـب و الامثـال و غيرهـا للـدفاع يـذهب اليـه ممـا جعـل مـن الكتـاب موسـوعة ادبية تمثل ثقافةالجاحظ التي احاطت بمعارف عصره .

و مـن هـذه المؤلفـات الـتي نستعرضـه للبحـث المناقشـة في بطاقـة فنيـة حاولنـا جاهـدين مقاربـة الطرح العلمي و المنهجي لاهم كتاب رأيناه هو البيان و التبيين.

الفصل الأول

مفهوم البيان وأنواعه وآفات اللسان

تعريف البيان:

قال البعض جهابذة الألفاظ نقاد المعاني: المعان قائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية وبعيدة وحشية محجوبة مكنونة موجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أحبه وخليطه، ومعنى شريكه والمعاون له على أموره، مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وأخبارهم عنها واستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شهيدا والبعيد قريبا وهي التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معرفا والوشي مألوفا والغفل موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وجنس الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح والإشارة أبين وأنور كان انفع وانجح والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن بذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الحجم والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغايات التي إليها يجري القائم والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام ووضحت عنه المعنى

فذلك هو البيان في ذلك الموضوع ثم أعلم –حفظك الله– أن معظم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة ومحدودة ومحصلة محدودة وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظا وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:

أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نسبة والنص هي الحال الدالة التي تقوم تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات.

- **البيان عند الجاحظ: مقاربة منهجية.**

إن الطبيعة الحقيقية للغة تكمن فقط فيها من خلال فهم المعنى ويلعب المعنى دور كبيرا في مستويات التحليل اللغوي بدءا من التحليل الفونيمي بل دورا كبيرا في تطبيقات كثيرة لعلم اللغة وإذا كانت قضية المعنى قد تناولها في الأعوام الأخيرة مختلف والثقافة متنوعة الاهتمام واشترك في مناقشتها الفلاسفة و..... والانتروبولوجيا وعلماء النفس ودارسوا الفن والأدب فإنما علماءنا القدامى كان لهم في دخل الدلالة انطلاقا من كتابة البيان والتبيين وسأتناول فيه:

- مفهوم علم الدلالة في اللغة والاصطلاح.
- المدرسة البيانية عند الجاحظ.

ونختم بالتعرض بإيجاز شديد لمفهوم الدلالة عند أعلام اللغة بعد الجاحظ.

الأستاذ حميد قبايلي.

جامعة منتوري القسنطينية.

مفهوم علم الدلالة:

لم يعد علم الدلالة الآن في حاجة إلى من يدافع عن وجوده ويبرهن بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة عن ضرورته ويبرز الاهتمام به فقط تخطي هذه المرحلة منذ زمن وصار الآن يلقى الاهتمام والدراسة في كل أنحاء العالم بقدر ما تلقاه سائر علوم اللغة أو اللسانيات.

1- **تعريفه: اللغة**: جاء في معجم الوسيط لفظ: الدالة عليه وأليه يدل دلالة، ارشد ويقال: دله على الطريق ونحوه: سدد إليه أو أرشد إليه: فهو دال والمفعول مذلول عليه وإليه.

والدلالة: الإرشاد ونطلق الدلالة على ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه من معنى أو معان.

وفي لسان العرب " دله على شيء يدله ودلالة " : سدده إليه والدليل: ما يستدل به والدليل: الدال وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة ودلولة وفتح أعلى والدليل والدليلي الذي يسلك قال أبو عبيد: أني أمرؤ بالطرق ذو دلالاتي.

والجمع أدلة أو دلالة والاسم الدلالة الكسر والفتح والدلولة والدليل.

قال سيبويه: الدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها ودللت بهذا الطريق: عرفته ودللت به أدل دلالة وأدللت بالطريق إدلالا والدليلة ما جعلته للدليل أو الدلال().

وفي أساس البلاغة للزمخشري: دله على الطريق وهو دليل المخازة وهم أدلائها وأدللت الطريق : اهتديت إليه ودله إلى الطريق المستقيم.

2- **اصطلاحا:** يعرفه بعضهم بأنه (دراسة المعنى) (العلم الذي يدرس المعنى) وذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى وقد أطلقت على هذا العلم عدة أسماء في اللغة الانجليزية أشهرها الآن كلمة (semanhics) وأما في اللغة العربية فبعضها يسمي علم الدلالة بفتح الدال وكسرها وبعضهم يسميهم علم الدلالة وبعضهم يسمي السيماشيك أخذا من الفرنسي أو الانجليزية والمعنى: مجال ينجذب إليه كل المهتمين بدراسة الأحداث اللغوية من علماء اللسان أو الفلسفة وعلم النفس والانتروبوجيا وهي تدخل إلى هذه المشكلة من مدخل العلاقة بين الألفاظ والمعاني وطبيعة هذه العلاقة وللمعنى في الفلسفة معنى عقلي وديني.

أما المعنى عند اللغويين اللسانيين فهو علاقة اعتباطية عرفية حددها الاتفاق الجماعي وهم يركزون اهتمامهم على الوظيفة.

وعلم النفس يهمه التكوين النفسي للفرد مثل الإدراك ودراسة السلوك اللغوي وكيفية اكتساب اللغة وطرق تعلمها.

أما الأدباء والنقاد فهم يهتمون بالوسائل الفنية في التعبير عن الفكر ومن ثم فهم يبحثون عن الحقيقة والمجاز والصور الفنية وغير ذلك كما أن الدراسة الدلالية لها تطبيقات كثيرة نراها في مجال الطب النفسي وتعليم اللغات القومية والأجنبية وإعداد الخطط السياسية وتصميم الإعلانات التجارية.

ويمكن حصر موضوع علم الدلالة بناءا على ما تقدم في انه كل شيء يقوم بدور العلامة أو للرمز هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق وتكون إشارة باليد أو إيماءة بالرأس كما تكون كلمات أو جمل بعبارة أخرى قد تكون علامات أو رموزا غير لغوية تحمل معنى كما تكون علامات أو رموز لغوية.

المدرسة البيانية عند الجاحظ:

قبل الخوض في تبيان أصول هذه المدرسة لا بد من التعرف على لفظ بيان في اللغة والاصطلاح ومفهومهما في القرآن الكريم.

أ- **البيان لغة:** جاء في لسان العرب عن ابن منظور البيان ما يبين له الشيء من الدلالة وغيرها وبأن الشيء بيانا اتضح فهو بين.

والبيـــان: الفصـــاحة واللســـن وكـــلام فصـــيح والبيـــان هـــو الإفصـــاح مـــع ذكـــاء والبـــين مـــن الرجال: الفصيح وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما ورجل بين فصيح.

وكلمة بيان تدور حول معنى الدلالة والفصاحة والوضوح والكشف والظهور.

ب- **البيـــان اصـــطلاحا:** أصـــول وقاعـــد يعـــرف بهـــا إيـــراد المعـــنى بطـــرق يختلـــف بعضـــها عـــن بعـــض في وضـــوح الدلالـــة العقليـــة علـــى نفســـي ذلـــك المعـــنى جمـــع البيـــان في القـــرآن الكـــريم، وردت لفظـــة بيـــان في القـــرآن الكـــريم 3 مـــرات في قولـــه تعـــالى: " هـــذا بيـــان للنـــاس وهـــدى وموعظة للمتقين".

والمعنى هنا " أن القرآن الكريم فيه بيان الأمور على جليتها".

في قولـــه تعـــالى: " الرحمـــان علـــم القـــرآن خلـــق الإنســـان علمـــه البيـــان" قـــال الزجـــاج في تفســـير قولـــه تعـــالى خلـــق الإنســـان علمـــه البيـــان قيـــل الإنســـان هـــو النـــبي (ص) علمـــه البيـــان أي علمـــه القـــرآن الـــذي فيـــه بيـــان كـــل شـــيء وقيـــل الإنســـان أدم عليـــه الســـلام وعلمـــه البيـــان جعله مميزا عن جميع الحيوان ببيانه وتميزه.

وقولـــه تعـــالى: "ثم إنا علينـــا بيانـــه قـــال ابـــن كثـــير في تفســـير الآيـــة أي بعـــد خطفـــه وتلاوتـــه نبينـــه لـــك ونوضـــحه معنـــاه علـــى مـــا أردنا وشـــرعنا وفي روايـــة لابـــن عبـــاس العـــوفي علينا بيانه نبين حلاله وحرامه.

قد تكون لفظة البيان من أكثر الألفاظ شيوعا عند الجاحظ وبأخص في كتبه وقد توج بها عنوان أبرز كتبه في البلاغة والأدب ونعني به الكتاب البيان والتبيين وبالرغم من شيوعها وأهميتها بعنوان أشد مؤلفاته خلافة بالنقد والبلاغة الى أنها ظلت خاتمة المدلول بعيدا عن التعريف والى الحديث.

ومن خلال تتبعنا لما فهي مختلف للمواضيع فقد استطعنا أن نحصرها في مفهومين: المفهوم العام والمفهوم الخاص.

المفهوم العام: ونشير لفظ بيان الى واقع التعبير عن معنى من المعاني بلغة ليست بالضرورة هي لغة الكلام لكنها تتسع ...لجميع وسائل التعبير الممكنة وهكذا يكون مفهوم البيان من هذه الموجهة العامة متجسدا بقول الجاحظ يصح اعتبارها تعريف أولي به جاء فيها والدلالة للظاهرة على المعنى للخفيف هو البيان المفهوم الخاص غالبا للجحذ لفظة بيان الدلالة على بلاغة التعبير بلغة الكلام والقول أو المدون وحدها وسائر أشكال البلاغة في وسائل التعبير الأخرى ومن هنا فإن هذا المدلول وحده دون غيره ويصبح هكذا مرادفا للفظة بلاغة التي يكرسها عند الحديث عن الأدب لهذا المدلول دون سواه.

أنواع الدلالات عند الجاحظ:

وإذا عدنا إلى المفهوم العام لكلمة بيان عند الجاحظ والذي يعني الدلالات الظاهرة على المعنى الخفي ويمكن حصرها في خمسة أقسام اللفظ والكتابة والإشارة والعقد والحال والنصب.

إن كلمة دلالة في الاصطلاح اللغوي هي مصدر فعل "دل" بمعنى "حين" وأشار وأما الدلالة في الاصطلاح البياني فقد وجهها الجاحظ وجهة أخص مشيرا بها إلى العامة التي بدونها لا يكون لحاجات الفكرة المستترة وجود ظاهر محسوس فالدلالة بالنسبة للمعنى.

هي إذا الإشارة الظاهرة التي بواسطتها يمكن تعيينه وتجسيده وقد ترادف عند الحاجة كلمتا الدلالة والإشارة من هذه الناحية كما في قوله:" وكلما كانت الدلالة أوضح اتضح وكانت الإشارة أبين وأنور وكان انفخ أما دلالات جمع دلالة فإنها تعني عند الجاحظ مختلف أنوع الإشارات مستخدمة أبرز مضمون الفكر أي مختلف الوسائل التعبيرية الممكنة" وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير خمسة أشيء لا تنقص ولا تزيد أولها لفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الحظ ثم الحال التي تسمى النصبة.

1- اللفظ:

هو إحدى الدلالات الخمس على المعاني ميزة الإنسان وخاصته الأساسية التي بها يتعدد نوعيا وهي قدرته على الكلام والإبانة عن نفسه بالألفاظ ويعتبر الجاحظ البيان باللفظ كالبصر في حين أن من يعييهم الكلام عمي لا يبصرون البيان من نتاج العلم وقد يعتبروه ترجمان العلم وحبانه وعماده كما أن الجاحظ يجعل له الصدارة في الترتيب في حديثه عن الدلالات على المعاني.

2- الخط والتدوين:

ويعني به كتابة الكلام وتدوين وقد جعله في الترتيب تاليا للحفظ مباشرة. ومن فضائله عداما اختص به القرآن الكريم من ذكر وتعظيم.

"أن العلم هو احد اللسانين علما أن القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هدرا" ومن فضائله كذلك قدرة الإنسان على تصحيح كلامه في حين يستطيع شيئا من هذا مع وسيلة اللفظ فاستعمال القلم أجدر أن يخص الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام.

وفي حين أن اللسان مقثور على القريب الحاضر فأن القلم مطلق في الشاهد والغائب وفي حين أن اللفظ لا يتعدى نطاقا محدودا جدا من المكان والزمان فإن الخط

يتجاوز هذا الحيز هذا الحيز الى مكان وزمان والكتاب يقرا بكل مكان ويدرس في كل زمان واللسان لا يعد وسامعه ولا يتجاوزه الى غيره.

3- الإشارة:

وهي عند الجاحظ في الاصطلاح البياني إحدى الدلالات الخمس على المعاني.

وقد كان لهذه الصفة عنده وعند غيره من البلاغيين معنى آخر يدخل في نطاق الجمالية الأدبية وبلاغة الإيحاء بالكلام الموجز.

وكون الإشارة لغة من لغات البيان فإن أدائها من أعضاء الجسم كالحواجب والأجفان والشفاه والأعناق والأيدي وقسمات الوجه وغير ذلك مما يعبر بالحركة عن حاجة النفس وكنونا إلا أن أثرها لا يتجاوز حدود عين للنظر فهي مع اللفظ دون مرتبة البيان الخط وفوق مرتبة العقد كما....هي على ذلك كله ملازمة للبيان بالبيان ومتممة له لاسيما الإشارة باليد مكثفة لأبعاده وكاشفة لملا..... اللفظ أن....سيره بحال هذا الأحوال. وقد نال مفهوم الإشارة خطوة من اهتمام البلاغيين القدماء كأبي علال العسكري حيث عرفه في كتابه به الصناعتان بقوله الإشارة أن يكون اللفظ للقليل مشار به إلى معاني كثيرة بالإعياء إليها ولمحة تدل عليها.

4- العقد:

هو البيان بالحساب وقد ألم الجاحظ إلمام بإبرام بهذه الوسيلة البيانية مذكرا منافعها بشكل إجمالي من غير تحديدا وتفضيل منوها بقيمة الحسب وفضله مشيرا إلى الخسارة القادمة التي يمنى لها فاقد القدرة عليه من جهل بعدد السنين وبمنازل القمر وحالات المد والجزر وجل ما تستطيع إدراكه من كلام الجاحظ أن العقد هو الحساب دون اللفظ والخط وأن منافعه وكمنافع اللفظ والخطوات عدم اللفظ.

وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع، ومع ذلك يبقى مفهوم البيان بالعقد علامة استفهام لإيجاب عنها بالأكثر مما أورده الجاحظ نفسه في هذا الغرض.

5- النصبة أو الحال:

وفي تعريف النصبة يقول الجاحظ في البيان التبيين وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمستيرة غير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وناطق وجامد ونام ومقيم وصناعي وزائد وناقص الدلالة في الموات الجامد كالدلالة والعجماء معربة من جهة برهان ومن هن فإن النصبة هي ما توحي به الأشياء ومن حق هذه الحال أن يكون للمرجع فيها تدبيرا خليا ذاتيا لا صفة موضوعية في الأشياء نفسها ولعل ما تقصده صاحب المقولة هل الأرض فقل منشق أنهارك وفرس أشجارك حتى نهارك فإن لم تجبك حوارا إجابتك اعتبارا والاعتبار كما لا نفى من استنتاج العقل

وقدرته على الاستجلاء والإدراك هكذا تصبح النصبة أو الحال وسيلة للعقل إلى الاستبانة واستضاحة ومما تجدر الإشارة إليه أن النصبة كمصطلح بياني تستقر على هذا المدلول إلا في كتاب البيان والتبيين وأما في التصانيف السابقة ككتاب الحيوان فإن المصطلح لم يكف قد تكون بعد إن يكن مفهومه محددا بكل دقة ومعناه واضحا أتم الوضوح.

الدلالة بعد الجاحظ: اهتم ابن جني (ت392هـ) بدراسة العلاقة في لألفاظ والمعاني وبيان المناسبة وبينهما وكان التركيز الأول عنده على القيم الصوتية والصرفية ودلالتها فقال في الخصائص في باب إحساس ألفاظ أشباه المعاني: هذا موضوع شريف لطيف وقد نية إليه الخليل وسيبويه وتلقبه الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته قال الخليل، بأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدى فقالوا: صدوكوموهمو في صوت البازي طيعا فقالوا: صد صد وقال سيدي المقران والفليان الغثيان فقابلوا ثواني حركات للدلالة اللغوية اعتمادا على دراسته بعلم النفس وبراعته في التحليل المقترن بالنزعة التشريحية فكان اللغوي والفيلسوف ابن سينا يقول إذا ارتسم في الخيال المسموع ارتسم في نفس معناه فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم وكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه وهذا الإمام أبو حامد الغزالي يفرد بحثا كاملا في هذا المجال لبيان رتبة الألفاظ في مراتب الوجود فيقول أعلم أن المراتب فيما مقصده أربع واللفظ في المرتبة الثالثة:

- فإن الشيء وجودا في الأعيان
- ثم في الأذهان
- ثم في الألفاظ
- ثم في الكتابة

فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس هو مثال موجود في الأعيان وأما عبد القاهر الجرجاني إمام الدلاليين العرب يقول في دلائل إعجاز ص ليس على الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظه في النطق بل أن تناسقت دلالته تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه الحقل.

ونختم بابن خلدون الذي يولي أهمية كبيرة للدرس اللغوي الدلالي بصورة مستقلة عن باقي العلوم الأخرى يقول في مجال التعلم وهو معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه المحن كلها إلى الفكر في مطلوبك دلالة الكتابة الموصوفة على الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني في الاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق

عيوب النطق في تراث الأعاجم:

عيوب النطق في الدراسات اللغوية:

الهنـــود: خطيـت اللغـة السـنكريكية بمكانـة مرفوقـة لـدى الهنـود القـدامى كونهـا تمثـل لغـة الكتـب الدينيـة المقدسـة ركفيـد (Rigvide) وهـو مـا اسـتدعى ضـرورة الالتـزام بمعـايير أثنـاء تـداولها نطقـا وكتابـة ولا غـرو في هـذا[1]، فـالمعنى اللغـوي سـنكريكن يحيلنـا علـى عـدم اللحـن والـنقص في سـن بمعـنى كامـل وكـرين بمعـنى محـذوف أي اللغـة الـتي خلقـت كاملـة أو اللغـة الكاملـة لهـذا كـان أقـل خطـأ أو تعريـف في تـلاوة النصـوص المقدسـة يقضـي قضـاء علـى قيمـة الاحتفـال الـديني ويتعاقـب الـزمن ..... اللحـن علـى ألسـنة المتكلمـين خاصـتهم وعـامتهم ممـا عجـل بوضـع علـم اللغـة المسـمى ..... وهـو نحـو تصـحح كلامهـم واشـتقاقات تـؤدي بهـم إلى البلاغـة في الكتابـة والفصـاحة في الخطابـة[2] ولا يمكـن الحـديث عـن الدراسـات اللغويـة الهنديـة دون ذكـر أهـم بانيـني الـذي فـترة النضـج في الدراسـات النحويـة عنـد الهنـود وحـتى انـه يحكـى في بعـض الـروايات أنـه تلقـى هـذا العلـم عـن طريـق الـوحي والإلهـام، أدرك بانيـني بأن التصـويت السـوي موكـول بسـلامة آلات التصـويت فالتجـاويف الحنجريـة أهميـة في إنتـاج الأصـوات اللغويـة[3] ممـا يضـفي عليهـا صـفات مميـزة شـأنها في ذلـك شـأن الأوتار الصـوتية الـتي تميـز بـين الأصـوات المجهـورة

[1] طه ندا، اللغة الفارسية، تاريخ وقواعد ونصوص، دار النهضة العربية، بيروت (د.ط).

[2] أحمد مختار عمر،، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة القضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988.

[3] جورج موتين، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص59.

ونظيرتها المهموسة كما صنف الهنود الصوت المسرد صائن وشبه صائت وتفطن لغويو الهنود إلى تصنيف الأصوات اللغوية حسب طريقة النطق بها من مخارجها فتشكلت لديهم أبجدية مقطعية مندرجة من خلف الفم إلى مقدمته لقد أريك هذا المنهج أحد الباحثين المحدثين عبر عن إركابه بقوله لكننا لا ندري ما إذا كان هذا العمل في مجموعه بعد وصفيا أو معياريا أيا كان المنهج المتبع والنتائج المتوصل إليها.[1]

اليونان:

درس مفكر واليونان إلا قادمون الظاهرة اللغوية بجميع مستوياتها والمشكلة لها، فأثرت دراساتهم رصيدا لغويا مازال يملك الشرعية المعرفية في الفكر اللساني المعاصر "[2]صنف أفلاطون (Platon) (ت348 ق.م) حروف الأبجدية اليونانية حسب التحليل السمعي للأصوات يقول في حواره كراتيل (kratil) ألا ينبغي لنا نحن أيضا أن نبدأ بتمييز الصوائت ثم نصنف باقي العناصر في العناصر الصوتية التي لا تقبل التجزئة حسب أنواعها وهي لا تتضمن صوتا صائتا ثم تنتقل الى العناصر التي ليست هي من أصوات الصامتة ولا من الأصوات الصائتة.[3] لم يجدر أرسو عما أتى به أستاذه إذ صنف هو الآخر حروف الأبجدية باعتبار أثرها السمعي وأضاف إليه مخرجها من آلة النطق فاختلفت بذلك الحروف باختلاف الشكل الذي يتخذ وضع الفم أو باختلاف المكان الذي ينطق منه، إضافة إلى هذا التحليل الصوتي ميز أرسطو بين

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] الراجعي ، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط 1972، ص12.

[3] جورج موتين، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص59.

الحدود المفهومية لكل من الدوي والنطق والكلام، وجعل المفهومين الآخرين مرتبطين بالإنسان فالواجب أن يكون القارئ متنقا ويصحب فعله شيء من التخيل، لأن النطق هو ولا ريب صوت له معنى، وليس فقط دوي الهواء المتنفس كالسعال. ولأن .... المباحث اللغوية اليونانية هنات، فمردها إلى اعترافها بالمحاكاة الفلسفية والجدالات المنطقية.[1]

ومما يدل أيضا على مدى إدراك بعض مفكري اليونان بعضا من عيوب النطق، ما تضمنه قول أرسطو: ".... ولأن الحكمة أشرف الأشياء فينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكام المنطق وأفصح اللهجة، وأوجز اللفظ إلا بعد الدخل و..... وسماحة المنطق، وقبح اللكنة والعي، فإن ذلك يذهب بنور الحكمة ويقطع عن الأداء ويقصر عن الحاجة.[2]

عيوب النطق في تراث العرب:

عيوب النطق في الدراسات اللغوية:

ما ميز فكر العرب أثناء القرون الهجرية الأولى و الطابع الموسوعي فقلما نجد كتابا خصصه مؤلفه لغة معين واحد دوما تداخل مع فنون أو علوم أخرى وبحثنا عن إسهامات العرب القدماء في موضوع عيوب النطق من خلال العناصر التالية:

[1] المرجع السابق، ص99.

[2] ارسطو فاليس، كتاب النفس، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، 1964، ص79.

1- السمات الأدانية المذمومة.

2- عيوب النطق وعلم القراءات.

3- ظاهرة اللحن.

4- التنافر

5- الالفاظ الدالة على عيوب النطق

1- السمات الأدانية المذمومة:

تشعرنا اللغة العربية الفصحى بأن متكلميها كانوا منذ القدم من طينة واحدة وبيئة واحدة لا تفرقهم سمات أدانية معينة وينبئ واقع الأمر بخلاف ظاهرة فتلك اللغة لا تعدو أن تكون مزيجا لطيفا من اختيار أنيق للهجات هؤلاء وأولئك حدث بسبب احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل في مواسم الحج والتجارة والأسواق الأدبية المختلفة[1].

2- عيوب النطق وعلم القراءات:

بقدر ما حرص علماء القراءات على قراءة القرآن بكيفيات صحيحة ذات ضوابط علمية أقرها العلماء والمختصون بقدر ما حذروا وترصدوا ولكل الصور التي تؤدي قراءة القرآن لأنها تخل بقدسيته بوصفه كتابا سماويا ومن هذا المنطق نشأ حرص

[1] رمضان عبد التواب، فصول في العربية، ص116-154.

علماء القراءات على دراسة عيوب النطق[1]، مخافة تأثيرا على قارئ القرآن وبقية إيجاد وسائل علاجية لها أو الاحتيال بحبل قصد التخفيف من وطأتها أنفوا كتبا تحت هذا المنحنى النبيل مثلما ترصده الدكتور غانم قدوري الحمد الذي ألف كتابين نفيسين يعودان الى القرن الخامس الهجري كما ألف أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي (ت462هـ) كتابه (الموضح في التجويد) عقد في آخره فصلا موجزا عن عيوب النطق كما ق.م علماء التجويد بتصنيف عيوب النطق كالآتي: أمراض الكلام، انحرافات النطق اللهجية، عيوب الأصوات، عيوب الجوارح والهيئات.[2]

كان العربي القح يتكلم العربية بفطرته وكانت عربيته سليمة من شوائب اللحن ونتيجة تضافر عوامل عديدة استشرى اللحن كالسيل الجارف فمس خاصة القوم وعامتهم يتحول بذلك إلى ظاهرة وحتى تتمكن من فهم حيثياتها فلا بد من الإجابة عن جملة من الأسئلة ما المصطلح العام الذي انتظم جميع الأخطاء اللغوية المرتكبة انتظم ارتكاب الأخطاء اللغوية مصطلح عام هو اللحن الذي يدل في معناه الإجمالي على الخروج المتكلم عما تعارف عليه مجتمع لغوي معين سقت هذا المعنى الإجمالي دلالات أخرى حصرها الأستاذ عبد العزيز مطرفي الغناء، وترجيع الصوت والتطريب أن تريد الشيء فتوري عند أو ترمز إليه بقول آخر الخطأ في اللغة اللهجة الخاصة الفطنة معنى القول وفحواه.

[1] مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص228.

[2] حاتم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص483.

3- التنافر:

رسم اللغويون العرب القدماء حدودا واضحة لما يعد خفيف أو ثقيلا على اللسان فقد قالوا بكراهية توالي المثلين أو المتقاربين أو المتنافرين في حين رحبوا بتوالي المتخالفين والمتناسبين ولهذا مال المتكلم بالعربية إلى طلب الخفة ميلا بالخليفة، قصد تحقيق الانسجام الذي نجمت عنه ظواهر صوتية صرفية كالإدغام.[1]

4- الألفاظ الدالة على عيوب النطق.

لعله لم يفرد الألفاظ الدالة على عيوب النطق كتاب جامع لها، مستعل بها إبان القرون الثلاثة الأولى الهجرية ومرت ذلك حسب رأينا هو طغيان ما يعرف بالفكر الموسوعي لا التخصصي أين وجدنا المصنفات المؤلفة أثناء تلك القرون تمتزج فيها مباحث علمية شيء ومما يمكن لفت الانتباه إليه أن هذا التراكم أو الامتزاج لا يمنعنا من التذكير بأنا وجدنا شتاتا من الألفاظ الدالة على عيوب النطق[2] الأمر الذي دعانا إلى طرح جملة من التساؤلات ما هي هذه الألفاظ؟ لقد تأثرت الألفاظ الدالة على عيوب النطق بين جملة من المصنفات بعضها وجدناه بحكم ما استدعاه سياق الحديث وتقصد بذلك على وجه الخصوص كتب مجاز وإعجاز ومعاني القرآن فصاحب (مجاز القرآن) ومما تجدر الإشارة إليه أن ترتيب وتصنيف الألفاظ حسب حقل دلالي معين لم

[1] المرجع السابق، ص482.

[2] عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (د.ط)، 1966، ص19-28.

يظهر إلى الوجود إلا بعد قرنين لاحقين لعصر الخليل مثلما نجده في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية منصور الثعالبي (ت430هـ) وكتاب المخصص لابن سيده.[1]

باب الصمت:

وكان أعرابي يـ **وتزيدن أطيب الطيب طيبا أن لمسني أني مثلك آنيا.** ـال أسمع من أعلم وأسكن **وإذ الدر حسن وجوه كان الدر حسن وجهك زينا.** ـن ذهب فقالوا مقتل الرجل بين لحيته وقلبه وأخذ أبو بكر الصديق بطرف لسانه وقال هذا الذي أوردني الموارد وقالوا ليس شيئا أحق بطول سجن من لسان وقالوا اللسان سبع...وقال النبي وهل يكب الناس على مناخرهم بنار جهنم إلا حصائد ألسنتهم وقال ابن الأعرابي على بعض أشياءه تكلم الرجل عند النبي وخطل في كلامه فقال النبي ما أعطي العبد شر من طلاقة اللسان وقال العائشي وخلد بن قداس حدثنا مهدي بن ميمون من غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن شخير عن أبيه قال قدمنا على رسول الله في وقد وقلنا يا رسول الله أن سيدنا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء: قال رسول الله: أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان فإما أنا عبد الله ورسوله وقال خالد بن عبد الله الفسري لعمر بن عبد العزيز من كانت الخلافة زالته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فأنت كما قال الشاعر من الرفيق :

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص170.

وقال سهل بن هارون سياسة البلاغة أشد من البلاغة كما أن التوفي على الدواء أشد من الدواء ويقولون للتبين وال.....الكلام ومن زلل الرأي الدبر والرأي الدبر هو الذي يعرض من الصواب بعض ..... الرأي الأول وقوة استدراكه وكانوا يأمرون بالتحلم والتعلم وبالتقدم في ذلك أشد تقدم.

وقال الأحنف: قال عمر بن الخطاب:

فهو قبل أن تسود وكان يقول رحمة الله السوء مع السواء وانشد تكثير عرة:

وفي الحلم والاسلام للمرء وازع وفي ترك طاعات القراء المنيم.

بصائر وشد للفتى مسببين واخلاف صدق علمها بالتعلم.

وقال لأفوه الأردي:

أضحت قرينه قد تغير بشرها وتجهمت بتخبة القوم العذا.

ومن هذا الجنس من الأحاديث وهو يدخل في باب الملح قال الأصمعي وصلت بالعلم ونلت بالمبح وقال الرجل مرة أبي الذي قاد الجيش وفتح الفتوح وخرج على الملوك ..... فقال له رجل من القوم أجرم لقد أصر وقتل وسيلة قال يقال له المفتخر بأبيه دعني من أسري أبي وقتله وصلبه أبوك أنت حدث نفسه بشيء من هذا قط قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم وأنا أوصيك إلا تدع إلينا من البيان والتبيين من هذا أنك لها فيها طبيعة طبيعة وأنهمها يناسبانك بعض المناسبة شاكلا في بعض

المشاكلة ولا تهمل طبيعتك فيستولي للأعمال على قوة قريحة ويستبد بها سوء العادة وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ فالخطابة والبلاغة وبقوة يوم الخجل فلا تقصر في ..... سورة وأرفعها في البيان منزلة ولا قطعك تصيب الجهلاء وتخويف الجبناء ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها المتناولة على اقبح مخارجها كيف تطيعهم بهذه الروايات المعدلة والأخبار المدخولة وبهذا الرأي الذي استدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكروا وود النبي صلوات الله عليه فقال: " واذكر عبدنا داوود ذا الأيد إنه أواب (ص) إلى قوله (وفصل الخطاب): فجمع له بالمحكمة البراعة في العقل والرجاجة في الحلم والإتباع في العلم والصواب في الحكم وجمع له بفصل الخطاب تفصيل وتلخيص الملتسب والنص بالحرفي موضع الحد والحسم في موضع الجسم وذكر رسول الله (ص) شعيبا النبي ص فقال كان شعيب خطي الأنبياء وذلك عند بعض ما حكاه الله في كتابه وجلاه لأسماع عباده البيان والتبيين الجاحظ.

فكيف تصاب منزلة الخطباء وداوود عليه السلام وتجيب إمامك مع ما تلونا وعليك في صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والآي الكريم وهذا خطب رسول الله (ص) مدونة محفوظة ومخلدة مشهورة وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وقد كان لرسول الله شعراء ينادون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري خطيب رسول الله (ص) لا يدفع ذلك أحد فأما ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف والخطل وال....فإنما يخرج إلى الإسهاب المتكلف والى

الخطل المتزيد فأما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التفصيل والمحاسبة والشفقة والذين يتكلمون في صلاح ذات البين وفي إطفاء ناثرة أو في حمالة أو على منبره جماعة أو في عقد أملاك بين مسلم ومسلمة فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السلاطة والمراء والى البداء والى النفج والرباء ولو كان هذا كما يقولون لكان علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس أكثر الناس فيما ذكرتم فلم خطب صعصعة أبن صومان عند علي بن أبي طالب وقد كان ينبغي للحسنة البصرى أن يكون أحن التابعين بما ذكرتم؟ قال الأصمعي قيل لسعيد بن المسيب هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاء الشعر قال نسكوا نسكا أعجميا وقد زعمتم ان رسول الله (ص) قال تسعيتان من شعب الإيمان الحياء والعي ونحن نعود بالله أن يجمع رسول الله (ص) بين البذاء والبيان إنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار ووقع أسم العي على كل شيء عن المقدار فالعي مفهوم والخقل مذموم وديين الله تبارك وتعالى بين المقصد والغالي وهاهنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة رووا مدح الحياء عند الأحنف وان الأحنف قال ثم: يعود بذلك ضعفا والخير لا يكون سببا للشد ولكنا يقول أن الحياء اسم المقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار نفسه ما أحببت وكذلك الجود اسم المقدار من المقادير فالسرف أنهم لما فضل عن ذلك المقدار وللحزم مقدار وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما فرج عن ذلك المقدار وللشجاعة مقدار فالتهور لما جاوز ذلك المقدار وهذه أحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة فإن وجدتها متصلة لم

تجـــدها محـــدودة وأكثرهـــا جـــاءت مطلقـــة لـــيس لهـــا حامـــل محمـــود ولا مـــذموم فـــإذا كانـــت الكلمة حسنة استمتعنا بها.

الفصل الثاني

أصل اللغة وقيمة الشعر

أراء الجاحظ حول الشعر ونقده:

ليس الشعر في رؤية الجاحظ كلاما موزونا كما زجم بعض النقاد ودارسي الأدب في عصره وبعده ويبدو وأنه علم بأوزان الشعر التي وضعها الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى بعد ولادة الجاحظ بزمن قصير وتراه يشير إلى أسماء البحور الشعرية والتفعيلات التي اعتمدها الخليل ويستفاد من كلامه عن الخليل أن لم يكن راضيا عنه ولا عن دوائره وأوزانه (الجاحظ 1928) ونسمعه يقول في هذا الصدد ويدخل على من طعن في قوله: " تت يدا أبي لهب" وزعم أنه شعر لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلن وطعن في قوله في الحديث عنه: هل أنت إلا ....؟ وفي سبيل الله ما لقيت فيقال له أعلم انك لو اعترضت أحادية الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيرا ومستفعلن مفاعلن وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا ولو أن رجلا من الباعة صاح من يشتري باذنجان؟ لقد كان لكم بسلام في وزن مستفعلن مفعولات فكيف يكون هذا شعرا أو صاحبه لم يقصد إلى الشعر ومثل هذا المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا...فالكلام الموزون لا يعد شعرا إلا إذا قصد صاحبه إلى نظمه وصناعته على أنه شعر وإلا إذا كان مقدار هذا الكلام الموزون كافيا لاعتباره شعرا أما إذا تخلل الحديث أو الكلام بعض جمل موزونة بصورة عابرة ودون عمد فلا ندعوها شعرا ويؤكد رأيه بقصة حدثت على مرأى منه لقد سمعت غلاما يقول لصديق له وكان قد سقى بطنه يقول لرفاقه اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى إن وزن هذا الكلام هو فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن مفاعلن مرتين هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول الشعر ولذلك لن تعد كلامه

شعرا، بل أن الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير هذه هي حقيقة الشعر عند الجاحظ وهو لا يعني بالصناعة كون لشعر نتيجة العمل والاجتهاد والإرادة ووليد التلقين والرياضة إنه يؤكد على أن الشعر طبع أو موهبة، وإن من حرم منها لا يستطيع أن ينظم الشعر أبدا انه يعني بالصناعة الصياغة أو فن تركيب الكلام سبكه ومن هنا جاء تشبيه للشعر بالنسيج فكما أن الثوب يتألف من خيوط تصف طولا وعرضا لتشكل لحمته وسداه هكذا القصيدة هي مجموعة أبيات مؤلفة من رضى ألفاظ تشكل الضيع الفني الرائع، ثم إن الشعر جنس من التصوير لأنه يعتمد اعتماد كبيرا على الخيال الذي يبدع الصور الخلابة وان شعر يخلوا من التصوير والتشبيه والأشعار وما إليها فهو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر وهكذا يغدوا الشعر ينظر الجاحظ قائما على أركان أربعة الطبع والصياغة اللفظية والوزن والتصوير وقد لخص هذه الأركان التي تشرك في تكوين الشعر بقوله وذهب الشيخ إلى امتحان المعنى والمعاني المطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنها الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وبسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع ومتنت السبك فإن الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التطوير ويشير إلى سبك ألفاظ الشعر أو تلاحمها على نسق معين حيث يقول وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان به.

1- الأولية الشعر:

وقد تحدث الجاحظ عن أولية الشعر ورأى انه حديث العهد فيرجع لذاته في الأدب العربي إلى مدى القيس والمهلهل كما يرجع جذوره الى أرسطو وأفلاطون في الأدب اليوناني القديم العريق قائلا: " وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه في الأدب العربي امرئ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، وكتب أرسطو طاليس ومعلمه أفلاطون ثم بطلمبوس وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور والأحقاب ويدل على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حجر:

إن بني عوف اثبتوا حصنا صنيعه الداخلون إذ غدروا.

أدوا الى جارهم خفارتهم ولم تضيع بالغيب من نصروا.

(الجاحظ،1968ج1، 74)

وقوله في نص آخر: دو إذا استظهر بغاية الاستظهار فائي عام". (من.ج10:2).

وقوله في موضع آخر: " وقد قيل الشعر قبل الإسلام في مقدار الدهر أطول ما بيننا اليوم وتبين أول الإسلام" (م.ن.ج2. 277).

ففي النص الأول يرى أن الشعر الجاهلي مائة عام وخمسون سنة وفي الثاني يرى أن عمره مائتا سنة، ففي الثالث جعله ما نتبين ونبقا على أن في تقدير للآخرين بغضب المبالغة.

قصة الشعر وأثره:

ما هي قيمة الشعر؟ هل له وظيفة اجتماعية أو خلقية أو تثقيفية إلى جانب قيمته الفنية؟ هل يطلب منه الاضطلاع بهذه الوظائف جميعا؟ هذا ما سنحاول استعلاء رأي الجاحظ فيه يقول أبو عثمان إن الشعر فائدتين: فائدة المشاعر وفائدة الممدوح أما فائدة الشاعر فتكمن في إبراز عبقريته أ موهبته وفي كسب الجوائز والهبات أما فائدة الممدوح فترجع إلى تخليد مآثره وذكره على مر الأيام ووظيفته التخليد هذه هي التي اهتم بها العرب في العصر الجاهلي بحيث أنهم اعتمدوا على الشعر لتوفير هذه الناحية بينما أثر العجم البناء لتخليه ذكرهم (الجاحظ 1968م) (ج1، 12).

وثمة وظيفة ثانية للشعر على التثقيف وذلك بفضل ما يتطور عليه من معان عميقة وصحيحة ولكن الكتب المنثورة أفضل من الشعر للقيام بهذه المهنة لأنها أقدر على استيعاب المعارف عن الشعر على الرغم مما يعرض له من تحريف وتصحيف أثناء النقل والترجمة والاستنساخ.

فالجاحظ يفضل النثر على الشعر وإن كان الشعر أسهل حفظا فالنثر أقدر على التعبير على العلوم والحكمة التي ينتفع بها الناس لم إن الشعر يقتصر نفعه على فئة من الناس بينما يعم نفع الكتب الناس جمعه (من. ج1.8).

ولمة وظيفة ثالثة للشعر اجتماعية الأثر: لقد لعب الشعر دورا هاما في حياة العرب فهو الذي أشاد بمثلهم العليا كالمقروءة والكرم والشجاعة واتخذوه أداة للصراع السياسي والفكري وقد أورد الجاحظ أخبارا عديدة تدل على أهمية الشعر الاجتماعية ومدى تأثيره في الناس فهو بحثنا "أن بني نمير كانوا يفتخرون بنسبهم فإذا أسئل أحدهم: ممن الرجل؟ قال: نميري وظلوا على هذا الحال حتى هجاهم جديد قائلا:

ففض الطرق إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا.

فصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر ويخبرنا أن بني أنف الناقة كانوا محتقرين من الناس حتى كان أحدهم يخجل أن يتعرف بنسبه فإذا قيل له: ممن الرجل؟ قال من بني قريع، وظلوا على هذه الحال حتى مدحهم الخطيئة بقوله:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الدنيا.

وصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة ويروي خيرا طريف خلاصته أن شاعرا جاء سيد بني مازن يسأله لأن يسعى في رد إبله التي أغار إليها بنوير بوع: فاجهش السيد بالبكاء لأنه لا يستطيع تلبية طلب الشاعر وقال: كيف لا أبكي وقد استغاثتي

شاعر من شعراء العرب فلم أغثه والله لكن هجائي ليفضحني قوله، ولكن كف عني ليقتلني شكره، ثم نهض فصاح يبني مازن فردت عليه إبله، وبلغ من خوف العرب من الهجاء أنهم أكانوا إذا أسروا لشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شد والسانه بتسعة لكي لا يهجوهم، وينصح بإتقان لسان الشعراء بالمال لأنهم سخروا شعرهم للتكسب لأن الأغراض أغلى بكثير من المال، وأما وظيفة الشعر الفنية فلم يغفلها الجاحظ، ونحن نكتشفها من خلال كلامه، فهو يقص علينا خير النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع الشاعرة ليلى بنت النضر بن الحارث بن كلدة وأنه يطوف بالبيت فاستوقفه وجذبت رداءه حتى انكشف منكيه وأنشدته شعرها الذي قالته في مقتل أبيها فلما سمع كلامها تأثر به غاية التأثر وقال: لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته". وإن للشعر وظيفة نفسية هامة إنه يثير بعض العواطف ويلطف بعضها الآخر، وتوضيحا لهذه الحقيقة يخبرنا الجاحظ "أنا شيخا من الأعراب تزوج جارية من رهطة وطمع في أن تلد له غلاما فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها وصار يأوي الى غير بيتها فمر بخبائها بعد حول وإذا هي ترقص بنتها منه وتنشد:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا.

غضبان ألا تلد ألبنينا تالله ما ذلك في أيدينـــا.

فلما سمع الشيخ الأبيات عرج على بيت امرأته مسرعا ودخل الخباء وقبل بنتها وقال: ظلمتكما ورب الكعبة".

طبقات الشعراء:

ليس الشعراء جميعا في مرتبة واحدة من حيث الجودة فيقسمهم الجاحظ إلى اربع طبقات: فأولهم الفصل الخنذيذ، والخنذيذ هو التام ودون الفصل الخنذيذ الشاعر المغلق دون ذلك شاعر والرابع شعر ويروي الجاحظ عن بعض العلماء أن طبقات الشعراء ثلاث الشاعر وشويعر وشعرور.

الطبع والتكلف:

إن بعض الشعراء كانوا يعتنون بتنقيح شعرهم وتهذيبه وإعادة النظر فيه ضنا به وإشفاقا عليه ورغبة في أن يأتي مستوى الجودة وكان بعضهم يمكن في نظم القصيدة الواحدة وتنخلها حولا كاملا ومن هنا سميت قصائدهم بالحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى والخطيئة ولذا قال عنهما الأصمعي إنهما وأشباههما من عبيد الشعر وكذلك كل من جود في جميع شعره ووقف عند كل بين قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية الجودة وأما الشعراء الذين لا يهتمون بتحكيك شعرهم ولا يتكلفون فيه صنعة ولا يلتمسون قهر الكلام ولا اغتصاب الألفاظ فقد أطلق عليهم اسم الشعراء المطبوعين وليس معن ذلك أن هؤلاء لشعراء الأخيرين هم وحدهم دون غيرهم أصحاب الطبع والقريحة في الشعر وإنما يعني أنهم نعتوا بذلك لأنهم ينظمون الشعر دون اهتمام بصحة بيانية أو تصفية و تنفيح وهو تأتيهم المعاني سموا ورهوا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا.

القديم والمحدث والعربي والمولد:

فرضت قضية الصراع بين القديم والمحدث والعربي والمولد نفسها على الجاحظ منذ بداية سعيه في طالب العلم والأدب على أيدي شيوخه من الرواة العلماء في البصرة ومنذ تفتح ذهنه على نتاج المولدين من الشعراء، وهو يعني بالشعر المولد ذلك الذي نظمه الشعراء المولودون الذين نشئوا في العصر العباسي من امتزاج العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأجنبية والتزاوج الحاصل بينهم وهو يذهب إلى أن عامة العرب أشع من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة الذاتية الذين ليسوا عربا أقحاحا ولكن ليس كل شعر تفوه به العرب الخلص أجود من كل شعر نظمه المولودون فهناك أشعار مولدة خير من أشعار قديمة والعكس بالعكس فيقول: فالقضية التي لا أحتشم منها ولا أهاب الخصومة فيها أن عامة العرب والأعراب والبدو والخضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة والناتية وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه كما انه كثيرا ما يدعو إلى البعد عن المحاباة والهوى في نقد الشعر حتى يكون النقد موضوعيا معللا قائما على أسس بعده عن التعصب فإذا كان الحب يعمي عن المساوئ فإن البعض يحمي عن الحقائق وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصول لطائف الأمور إلا عالم حكيم أو معتدل المزاج ويؤكد هذا الاتجاه قوله عن طرديات أبي نواس وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب لأنه كان عالما رواية وكان قد لعب بالكلام زمانا وعرف منها مالا تعرفه الأعراب وذلك موجود في شعر وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحذف بالصنعة فإن تأملت شعره فضلة إلا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أن أهل البدو أشعروا وأن المولدين

لا يقاربونهم في شيء فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل مادمت مغلوبا.

ويرى الجاحظ أن الفرق بين الشعر القديم والشعر المولد يرجع إلى أن الشعراء القدامى نظموا الشعر عفوا وعلى الطبع دون تفكير وكدهن بينما ينظم المولودون الشعر بنشاطهم وجمع بالعم ويعد من المطبوعين على الشعر من المولدين بشارا اعقيلي والسيد الحميري وأبا العتاهية وابن أبي عسينة ويقول بشار أطبعهم كلهم.

اللفظ والمعنى:

ومن أوليات المسائل التي أثارها الجاحظ ذلك البحث الفريد الذي عالج به مشكلة اللفظ والمعنى وقد أثاره للمرة الأولى في حياة التفكير الأدبي عند العرب تلك المشكلة التي عرض لها دارسوا الأدب وناقدوه والباحثون على العناصر الأساسية في العمل الأدبي والخصائص التي يتميز بها ويقوم أساس الإجادة فيها ويعني الجاحظ دائما بصياغة الشعر بادئا بموادها من الألفاظ فهي تارة ألفاظ جزلة رضية وتارة ألفاظ غدية رشيقة ولكل لفظة موضعها من الكلام ومن المعنى الذي تؤديه وهو يصبح في البيان والتبيين وغيره من كتاباته، التلاؤم ومطابقة الكلام بمقتضى الحال أو ببارة أخرى لسامعيه يقول: وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا وسوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فإن الوطني من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي ودائما يبدئ ويعيد في أن الأسلوب ينبغي

أن يكون وسطا بين لغة العامة ولغة الخاصة وأن تشق الألفاظ عن المعاني حق تلك الإسماع والقلوب يقول: " أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه....وإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا...صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة وأكثر الجاحظ من الحديث عن حسن الصياغة وجمال العبارات وهو بحق الذي أعد في قوة الشيوع أسلوب جديد في....هو أسلوب الازدواج وهو أسلوب يقوم على التوازن الدقيق بين العبارات بحيث تتلاحق في صفوف متقابلة دون أن تتخذ نهايتها على نحو ما هو معروف في السجع هي تتقابل وتتعادل صوتيا ولكن دون أن تحقق التوازن الصوتي المألوف في السجع ومع ذلك تحقق ضروبا من الإيقاع فالكلمات تتوازن وتتعادل، وكأن كل كلمة في عبارة تقابلها كلمة في العبارة التالية على شاكلة قوله: لا أعلم قرينا أحسن موافاة ولا أعطا مكافأة ولا أحضر معونة ولا مئونة ولا شجرة أطول عمرا ولا أجمع أمرا، ولا أطيب ثمرة ولا أقرب بجنى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنته، وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن أثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القوية والتجارب الحكيمة ومن الأخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة وما يجمع لك الكتاب، ويمثل هذا الأسلوب المتدفن الذي يطلق به جمال الصوت من كل جانب دون أن يخرج به إلى تكلف السجع كان يؤلف ويصنف الكتب الطوال والرسائل المتنوعة الموضوعات دون أن تنابي عليه كلمة أو صيغة، فقد أصبحت اللغة مرنة في لسانه وعلى علمه إلى أقصى حد لغة شفافة يشيع فيه الوضوح وهذا الأسلوب المصفى الذي يروق الأذان والإسماع بأصواته كما يروق القلوب والعقول بمعانيه وأفكاره ودائما تلقانا هذه

الخصائص العامة لكتابات الجاحظ إذ يعني دائما بأسلوبه وسريان الازدواج فيه وبألفاظه وصياغاته وملاءماتها لمعانيها وموضوعاتها وقرائها، فهذا من الناحية العلمية لأسلوب الجاحظ ومدى عنايته بالصياغة والشكل فلنرجع إلى حديثنا عن مشكلة اللفظ والمعنى والقول بأنها لا تزال تلك المشكلة تشغل بال المعاصرين من نقاد العرب مع أن نقاد الأدب العربي قتلوها بحثا في تلك العصور البعيدة بعد أن قطن الجاحظ للفكرة وأخذها عنه المتكلمون في أركان الأدب على اختلافهم في المنهج وفي أسلوب النظر إلى الأدب والاتجاه به اتجاها فنيا أو اتجاها عقليا فكانوا بين مؤيد للجاحظ في نظريته التي تقوم على أن اللفظ والإبداع في الصياغة الشأن الأول في تقدير القيمة الفنية للعمل الأدبي ومعارض يذهب إلى عكس ما ذهب إليه الجاحظ فيعمل المعنى كل شيء ويحظ من شأن الأسلوب ويزعم أنه طلاء لا يقدر متانة البناء وذاهب مذهبا وسطا يرى أن المعاني والألفاظ توأمان لا انفصال لأحدهما عن الآخرون الألفاظ لا وعيه للمعاني وقوالب لها ويشبههما بالروح والجسد لا تعرف الروح إلا بتحيزها في أشكالها ولا يقدر الجسد إلا بما استودع من سمو الروح ولكافة الجسد وهذا الرأي على مذهب من المذاهب كان الجاحظ أول من نادى به في نقد الأدب العربي ذلك هو مذهب الصناعة والافتنان في الصياغة وأن النظرة في الأدب ينبغي أن تكون إلى مقدار ما حوي من آثار الصنعة من جودة التشبيه وحسن الاستعارة وابتكار الصورة التي يتميز صاحبها على غيره ما عرف الناس وما ألف الأدباء وحينئذ يقر له النقاد بالتفوق والانفراد، وقد يكون في هذا الرأي قصد إلى الرد على علماء اللغة والنحو والعروض والأخبار بين الذين ينقدون الشعر وهم لا يعرفون منه إلا جزئيات تلاؤم معارفهم الجزئية أو المحدودة بحدود ثقافتهم أما الجمال الفني الذي يودعه الأديب أدبه ويكسو به معانيه وأفكاره

فلا يقطنون إليه، وإنما يقطن إليه الأدباء وفي طبيعتهم الكتاب ومصداق ذلك قول الجاحظ " طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا أعرابه فعطفت على أبي عبيد: فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات" وبعد الوقوف على ما كتبه الجاحظ من الآراء النقدية يمكن القول بأنه يميل إلى الصنعة أو الصورة أو الشكل أو الفن في مصطلحنا الحديث وسبب هذا عمله واشتغاله بالكتابة والكتاب تخليهم الصورة وتستهويهم الصنعة وليس معنى ميله إلى تقدير الألفاظ مركبة مؤلفة متناسبة هذه هي الصنعة المقصودة عند الجاحظ، وان مقياس الجاحظ في ذلك هو وفرة المعاني كوصف الرجل الكريم بالجر والشجاع بالأسد وما أشبه ذلك أما المعاني الجزئية التي يسميها عبد القاهر بمعنى المعنى فليست هي المقصود بلفظ المعنى في نظر الجاحظ كما أن الجاحظ يرى بجانب الألفاظ أشياء أخرى كثيرة منها:[1] صحة الوزن وكثرة الماء وجودة السبك لأن الشعر في نظره صياغة وضرب من التصوير فهو بذلك لم ينس الأسلوب والنظم حيث ذكر السبك والصياغة، وهذا الاتجاه من الجاحظ يحتاج إلى شيء من التوضيح فقد يظن أن الجاحظ بتفضيله الألفاظ يحط من قيمة المعاني ويرى أنه لا قيمة لها وإنما القيمة للتعبير وحده والحقيقة أن الألفاظ خدم المعاني وضعت للدلالة على الأفكار فلولا الفكرة ما كان اللفظ فحسن الألفاظ يستلزم حسن المعاني فالجاحظ لم يرجح جانب الألفاظ من حيث هي ألفاظ وإنما يرجحها من حيث اختلافها مع

[1] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الحيوان: تحقيق فوزي عطوي، دمشق، مكتبة محمد حسين النوري، ط1.

معانيها وانسجامها معه ضخامتها وهذا ما عبر عنه أحيانا بالسبك وأحيانا بالصياغة وبهذا نستطيع أن نقول: أن الجاحظ مهتم بالفن مرافع عنه ولا يدور في خلد أحد عنه سماع ذلك ان الجاحظ يغض من قيمة المعاني ولا يعطيها حقها في التعبير والذي يظهر مما تقدم أن استحسان والألفاظ وسبكها على رأي الجاحظ إنما وجهه إعطاء المعاني حقها من هذه الألفاظ يحسب مقاديرها حتى يكون لها الأثر العميق فالجاحظ لا يتهاون في وضع الألفاظ في مواضعها وحتى يكون محمودا في جهة البيان كما نستخلص مما مضى أن الجاحظ يعتبر من أكبر رجال المنهج الفني والتيار الأدبي لإعطائه الألفاظ والمعاني حقها وقد دفعه هذا الاتجاه إلى طلب البعد عن العلو في استعمال الألفاظ في تصوير المعاني وتخيلها ولا يريد إلا ما كان صادقا.[1]

باب الشعر في البيان:

ووضعوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمعاطف والوشي وأشباه ذلك واشدني أبو الجماهير جند بن مدرك الهلالي:

لا يشترى الحمد أمنية ولا يشتري الحمد بالمقصر.

ولكنما يشترى غالبا فمن يخط قيمته يتشـــــرِ.

ومن يعتطفه على مقرر فنعم الرداء على المئـــــزرِ.

[1] الحموي ياقوت، معجم الأدباء: تحقيق أحسان عباس، بيروت، دار الغرب الاسلامي.

وقال آخر بشار بن برد:

مجزوء الكامل:

واخذي ملابس زينة ومصبغات فهي أفخر.

وإذا تفلت تقنعي بالحمران الحسنى أحمر.

وهذا أعمياني قد اهتديا من حقائق هذا الأمر إلى مالا يبلغه تمييز البصير وليشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأمره ولولا أنه في كتاب الرجل والمرأة وفي باب القول في الإنسان في كتاب الحيوان أليف وأزكى لذكرناه في هذا الموضوع ومما ترى فيه الوزن قوله:

ربي القوم حتى تعربي عند وزنيهم إذا رفع الميزان كيف أميل.

وقال ابن زبير الأسدي واسمه عبد الله:

أعادل عضي بعد لومكي أنني أرى الموت لا يرضى يدين ولا رهن.

وأني أرى دهرا تغير صوعـــــــــــه ودنيـا أراها لا تقوم على وزن.

كما كان الشعر وغير ذلك من الكلام الموزون يمدحون به ويفضلون إصابة المقادير ويدمون الخروج من التعديل

قال جعفر بن سليمان: ليس طيب الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل وأتما الشأن في إصابة القدر.

الفصل الثالث

الخطابة وأنواعها

الخطابة:

تعريفها: الخطابة فن من فنون الأدب النثري، مختص بكلام يلقى إلقاء أمام جمهور مستمع، ويعرف بالخطبة، ويهدف إلى توضيح أمر وقضية هما مثار جدل لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه واستمالته بإثارة عواطفه لاتخاذ موقف ما، هو الموقف الذي يرمي إليه الخطيب، فالخطابة كما يقول سعيد تقي الدين إقناع أو اقتلاع والخطيب الناجح هو الذي يمحو من أفكار مستمعيه ما يود أن يقتلع، أو هو الذي يغرز في أنها فهم ما يرغب أن يشربه، من هنا تعتبر البلاغة من أهم مقومات الخطابة لأنها تقتضي من الخطيب أن يكون على بنية من أمر من يوجه إليهم كلامه، ومن مستوى تفكيرهم ومن كيفية إثارة عواطفهم، ليتمكن من بلوغ مرامه، ومع أن الخطابة فن أدبي إلا أنها تختلف عن باقي الفنون بنسبة الالتزام إذ أنها أشد الأنواع الأدبية التزاما، لأنها تهدف أبدا إلى التأثير والإقناع معبرة عن عقيدة الخطيب ورأيه في مشاكل الوجود كذلك تختلف الخطابة عن البحث العلمي، وعن النقاش الحواري الذي تصطرع فيه الحقول وإن كانت كلاما يعتمد أحيانا الأدلة العلمية والأقبسة المنطقية، وتختلف الخطابة أيضا عن الكتابة وعن النثر الفني إذ لا شرط فيه لوجود الإقناع أو الاستمالة حتى لو احتوت الخطبة عبارات كثيرة من النثر الفني لجعلها أشد تأثيرا في نفوس المستمعين كما أن تناولهم المسائل الجادة الواقعية واستنادها إلى الحقائق الملموسة، يميز أنها عن الشعر الذي يعتمد العاطفة والخيال وإذا ما استعان الخطيب ببعض الشعر في خطبته فإنما يعود ذلك إلى رغبته في إثارة سامعيه ليس إلا.

أنواع الخطابة:

أولا: الخطابة المناظرة: وقوامها المساجلة بين شخصين في مسألة من المسائل التي يلتزم كل منها بأحد وجهيها المتقابلين ويكون طرفا في الموضوع فيحاول إثبات رأيه ودحض رأي خصمه لذلك تعتمد المناظرة على الحجاج واستقصاء أدلة والبراهين وترتكز إلى المنطق والثقافة، وينتمي إلى خطابة المناظرة المنافرة أو المفاخرة وهي المباهاة بفضائل الأصل ومكارم النسب، ومحامد الخلق وعلو المنزلة وجليل الفعال، كان هذا النوع من الخطابة مزدهرا عند العرب في الجاهلية نظرا إلى ما كانت عليه الحياة الاجتماعية القبلية، وظلت المناقرة طبعا في النفس العربية حتى بعد أن جاء الإسلام وأزال الفوارق وآخى بين الناس وخطابة المناظرة عرفت ازدهارا في اليونان خاصة على يد الفلاسفة السوفسطائيين الذين برعوا في المناظرات الفلسفية، أما عند العرب فعاشت عصرها الذهبي في العصر العباسي لكثرة جمهور المتعلمين والفرق والأحزاب وكتب التراث ومنها كتب الجاحظ وأبي حيان التوحيدي التي تحفل بأخبار المناظرات بين رجال الفكر والأدب، وأسلوب المناظرة وروحها يقول رفيق خوري خلق أسلوبا في كتابة انثر نلقاه لدى أكث الكتاب القدامى ومنهم الجاحظ فإنهم يكتبون وكأنهم يخاطبون مناظرا حالفهم في الرأي، وقد اشتق أدب طريق بالعربية عرف بأدب المناظرات الخيالية فيتصور كاتب صنفين أو شيئين من جماد، أو مدينتين تتناظران في فضائلهما والقاعدة في هذا النوع من المناظرات أن يكون سجعا وفي أيامنا هذه انتقلت المناظرة من الكتابة إلى شاشات التلفزيون إذ درجت العادة لاسيما في مناسبات الانتخابات الرئاسية،

فيظهر المرشحان المتنافسان على شاشة التلفزيون ويتناظران في كل الأمور التي تهم الوطن والمواطنين من سياسية واقتصادية وأمنية وتربوية وغيرها وغالبا يزداد حظ الناجح في المناظرة بالفوز وأشهر هذه المناظرات المتلفزة المناظرات التي يشترك فيها مرشحوا الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية الزائدة في هذا المجال ومناظرة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ومنافسهم جاك شيراك في معركة الرئاسة الأخيرة.

المناظرة التي جرت بين عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس:

أخبر المدائني عن عمرو بن العاص قال: كان عمرو في موسم من مواسم العرب فأطرى معاوية بن أبي سفيان وذكر مشاهده بصفين فاجتمعت قريش وأقبل عبد الله بن عباس على عمرو فقال: يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية وأعطيته ما بيدك ومناك ما بيد غيرك وكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك والذي أخذت من دون الذي أعطيته وكل راض بما أخذ منك أكثر من الذي أعطاك والذي أخذت منه دون الذي أعطيته وكل راض بما أخذ وأعطى، فلما صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعزل والتغيص حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها وذكرت مشاهدك بصفين فوالته ما ثقلت علينا وطأتك ولقد كشفت فيها عورتك وإن كانت فيها لطويل اللسان قصير السنان، آخر الخيل إذا أقبلت وأولها إذا أدبرت للأبدان يد لا تبسطها إلى خير وأخرى لا تقبضها عن نشر ولسان غرورة وجهين، وجه موحش ووجه مؤنس، ولعمري إن من باع دنيا بدنيا غيره لحري أن يطول عليها ندمه لك لسان وفيك خضل ولك رأي وفيك نكد ولك قدر وفيك

سد، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك، فأجابه عمرو بن العاص، والله ما في قريش أثقل علي مسألة ولا أمر جوابا منك ولو استطعت أن لا أجيبك لفعلت، غير أني لم أبع ديني من معاوية ولكن بعت الله نفسي ولم أنس نصيبي من لدنيا وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته فإنه لا تعلم العوان الخمرة وأما ما أتى إلى من معاوية في مصر فإن ذلك لم يغيرني له، وأما خفة وطأتي عليكم بصفين فلم استثقلتم حياتي واستبطأتم وفاتي؟ وأما الحين فقد علمت قريش أني في أول من يبارز وآخر من ينازل وأما طول لساني فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان:

لساني طويل فاحترس من شدانه عليك وسيفي من لساني أطول.

واما وجهاي ولساني فإني ألقي كل ذي قدر بقدره وأرمي كل نابح بحجره فمن عرف قدره كفاني نفسه ومن جهل قدره كفيته نفسي ولعمري ما لأحد من قريش مثل قدرك ما خلا معاوية فما ينفعني ذلك؟ وأنشأ عمرو يقول:

بني هاشم مالي أراكم كأنكم بني اليوم جهال وليس بكم جحل.

ألم تعلموا أني سريع على الوغى سريع الى الداعي إذا أكثر القتل.

وأول من يدعو نزالا، طبيعة جبلت عليها، والطباع هو الجبل.

وإني فضلت الأمر بعد استنباهه بدو من إذا أعيا على الحكم الفضل.

وإني لا أعيا بأمر أريـــــــــــده وإني إذا عجت بكاركم فعـــــــــل.

ثانيا: الخطابة الدينية.

وهـي الكـلام الـذي يلقـى في المسـاجد والكنـائس، سـواء في الأيام العاديـة أو في الأعيـاد والمناسـبات الدينيـة الأخـرى، وغايتـه الـوعظ والإرشـاد والـدعوة إلى العبـادة والصـلاة وفعـل الخـير والابتعـاد عـن الشـرد والتزهيـد بالحيـاة الـدنيا، ويكثـر فيـه الاستشـهاد بكـلام الله تعـالى وبأحاديـث الرسـل وسـير القديسـين والأنبيـاء والأبـرار قـال عمـر بـن العزيـز في خطبـة لـه، أيهـا النـاس إنمـا الـدنيا أهـل مخـترم وأجـل متـنقص وبـلاغ إلى دار غيرهـا وسـير إلى المـوت لـيس فيـه تعـريج فـرجم الله امـرءا فكـر في أمـره ونصـح لنفسـه وراقـب ربـه واسـتقال ذنبـه ونـور قلبـه، أيهـا النـاس إن أباكـم قـد أخـرج مـن الجنـة بـذنب واحـد وإن ربكـم وعـد على التوبـة فليكن مـن ذنبـه علـى وجـل، ومـن ربـه علـى أمـل ولا يخلـو الأدب العـربي كغـيره مـن الآداب العالميـة مـن هـذا النـوع مـن الخطابـة وقـد كـان للـدين الإسـلامي أثـر في انتشـار الخطابـة الدينيـة وتعزيزهـا، وفي بـروز أئمـة كبـار في هـذا الميـدان الى جانـب الخلفـاء، أمـا صـفات مـن ينصـب نفسـه لوظيفـة الهـدى ودعـاء النـاس إلى الخـير فيحـددها الشـيخ حسـين المرصـفي بقولـه، يجـب أن يكـون أبعـدهم مـن التصـنع وأحرصـهم علـى الكمـال فـإن أدنى هفـوة منـه تسـقط اعتبـاره وتسـهل التعـاون بـه، فـلا يكـون لكلامـه تأثـير في القلـوب ويصـير مجلـس مسـلاة يتلهـى بحضـوره....والمحتوم علـى الخطبـاء أن يكونـوا مـن الفطنـة والـذكاء وبراعـة المنطـق وبلاغـة العبـارة بمكان رفيع....

أول خطبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم دعا بها قومه بمكة:

حمد لله وأثنى عليه ثم قال:

إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتم والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان إحسانا بالسوء سوءا وإنها الجنة أبدا، أو النار أبدا.

خطبة أخرى له صلى الله عليه وسلم: أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم إن المسلم بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفس لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن التبيية قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعيب وما بعد الدين من دار إلا الجنة أو النار.

خطبة أخرى له صلى الله عليه وسلم:" أيها الناس كأن الموت على غيرنا قد كتب وكأن الحق فيها على غيره قد وجب وكأن الذي نشيع من الأموات سفركما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ونسينا كل واعظة، أمنا كل جائحة لطوبى من شغله عيب من عيوب الناس طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالط أهل الذل.

أول خطبة له صلى الله عليه وسلم بالمدينة:

أما بعج أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لهم راع ثم يقولن له ربه وليس له ترجمانو ولا حاجب يحجبه دونه، ألم يأتك رسولي فبلغك؟ وتأتيك مالا وأفضلت عليم فما قدمت لنفسم؟ فلينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظر قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنها تجزي الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله والرحمة وبركاته.

من خطبة العلي بن أبي طالب رضي الله عنه في ترك الدنيا:

نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون ونسأله المحافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم، وإن لم تحبوا تركها والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها فإنها مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكأنهم قد قطعوه وأموعلما فكأنهم قد بلغوه وكم عسى المجري الى لغاية أن يجري إليها حتى يبلغها وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها؟ فلا تتنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها إلى نفاذ وعلى حدة فيها إلى انتهاء وكل حي فيها إلى فناء أو ليس هم في أثار الأولين مزدجر وفي أبائكم الأولين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون؟ أو لم تروا الماضين منهم لا

يرجعون والى الخلق الباقين لا يبقون؟ ألا فاذكروا هاذم للذات ومنغص الشهوات وقاطع الأمنيات عند المساورة الأعمال القبيحة واستحيوا الله على أداء واجب حقه ومالا يحص من أعداد نعمه وإحسانه.

خطبة عمر بن عبد العزيز بقتاصرة:

أيا الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى ون لكم لمعاد يحكم الله بينكم فيه فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السماوات والأرض واعلوا أن اكمان غذا لمن يخاف اليوم وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون حتى يرجوا إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تستيعون غاديا ورائحا إلى الله قد قضى نصبه وبلغ أجله ثم تغيبونه في صدع من الأرض ثم تدعونه غير موسد ولا ممدد قد لمع الأسباب وفارق الأحباب، وواجه الحساب غنيا عما ترك فقيرا إلى ما قدم ولله أني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي واستغفر الله لي ولكم وما تبلغنا حاجة يتسع لعلماء عندنا إلا سددنا ولا أحد منكم إلا وددت أن يده على يدي الذين يبلوني حتى يستوي عيشنا وعيشكم، وأيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا عالما بأسبابه.

خطبة المأمون في العصر:

قال بعد التكبير والتحميد، إلا وإن يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهال وغربة يوم ختم الله به صيام شهر رمضان وافتتح به جج بيته الحرام، فجعله أول ايام شهور الحج وجعله معقبا لمفروض صياما ومتقبل قيامكم فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه بتخريطكم فإنه يقال لا كثير على ندم واستغفار ولا قليل على تماد وإصرار، ثم قال: اتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي لم يحضر الشك فيه أحدا منكم وهو الموت المكتوب عليكم فإنه لا يستقل بعده عثرة ولا تخطر قبله توبة، واعلموا أن لاشيء بعده إلا فوقه ولا بعين على جرعة وعكره وكربه وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقته وهول مطلعه ومسألة ملكيته لا العمل الصالح الذي أمر الله به، فمن زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته وفاتته استقامته ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه وبذل من الفدية ما لا يقبل منه. فالله عباد الله كونوا قوما سألوا الرجعة فأعطوها إذ منعها الذين طلوها فإنه ليس المنسى المتقدمون قبلكم إلا ذا الأجل المبسوط لكم فاحذروا ما حذركم الله منه، واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيوضع موازينكم ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم فلينظر عبدا يضيع في ميزانه مما يثقل به وما يملى في صحيفته الحافظة لما عليه.. ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر مما نمتكم به الدنيا عن نفسها فإن كل ما بها يحذر منها وينهى عنها فإنه يقول تبارك وتعالى: " فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور"[1] وقال: " أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والأولاد"[2] فالنتفعوا بمعرفتكم بها وبأخبار الله عنها واعلموا أن قوما من

[1] سورة لقمان، الآية 33.

[2] سورة الحديد، الآية 20.

عبـاد الله أدركـتهم عصـمة الله، فاحـذروا مصـارعتهم وجـانبوا حـدائهما وأثـروا طاعـة الله فيهـا وأدركوا الجنة بما يتركون منها.

الخاتمة

الآن بعد أن حاولت ضبط إستراتيجية الإقناع في مدونة البيان التبست بيان جهته التداولية اللغوية تطرح تحدي حيث وجب علينا جمع شتان ما توصلت إليه من نتائج متعلقة بهذا العمل فكان الاحتجاج الحاجة احتجاج للجنس الأدبي فكانت الخطابة من احتجاج الجنس الأدبي والتي جعل الجاحظ منطق الإقناع منها مسند إلى مجال قولها من سياسة.... وأحوال الناس بالإضافة إلى قدرته على تجسيم المعاني فيها.... في النفوس بتحقيق غايته بالإضافة إلى استعمال أسلوب التلوين اللغوي والبعد إجمالي وهو هدفه الأول والثاني الفني الذي يعمل به أما احتجاج الجاحظي للأسلوب اللغوي نأخذ منها الكلمة والتي تستمد قوتها من التداول اللغوي والتي تحيل الى ثلاث أنواع: نوع له خصائص اقتضائية وخصائص.....وخصائص تداولية أما احتجاج....للصورة الفنية فنأخذ منها مثلا الكتابة وهي صورة من الصور البيانية حيث تستمد الصورة طاقتها الحجاجية من خلال مادتها وشكلها وقوتها الاقناعية أما مادتها فيقصد بها البنية التي عاشت فيها هذه الصورة سواء كانت طبيعية اجتماعية أو فكرية مما يجعلها .....أن يكون بعدها رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل لكن بالرغم من تلخيص هذا فلا يزال البحث قابلا لدراسات أخرى تكمن نقصه وتلحم شرحه وتصلح ...ومن ذا الذي يقول الكلمة الأخيرة في البيان والتباين عن طريق إثبات إستراتيجية الإقناع فيها الذي تنقضي أنه لأن التأصيل في دائرة ..... التداولي ضيق جدا مما يدعوا صاحبه إلى التجديد والربط بين القديم والجديد أما الجاحظ فقد أسس

....الحجاج وتداولية التداولية بدأنا صغر وحدة بشكل الخطاب فالأسلوب، فنوع الخطاب فالفكر الذي..... التي تخاجه.

قائمة المصادر

والمراجع

[1] – طه ندا، اللغة الفارسية، تاريخ وقواعد ونصوص، دار النهضة العربية، بيروت (د.ط).

[2] – أحمد مختار عمر،، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة القضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988.

[3] – جورج موتين، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص59.

4– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الراجعي ، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط 1972، ص12.

جورج موتين، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص59.

المرجع السابق، ص99.

ارسطو فاليس، كتاب النفس، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2، 1964، ص79.

رمضان عبد التواب، فصول في العربية، ص116-154.

مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص228.

حاتم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص483.

المرجع السابق، ص482.

عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (د.ط)، 1966، ص19-28.

الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص170.

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الحيوان: تحقيق فوزي عطوي، دمشق، مكتبة محمد حسين النوري، ط1.

الحموي ياقوت، معجم الأدباء: تحقيق أحسان عباس، بيروت، دار الغرب الاسلامي.

سورة لقمان، الآية 33.

سورة الحديد، الآية 20.

الفهرس

الشكر والتقدير

فهرس المحتويات

مقدمة

مدخل 08

حياة الجاحظ..... 09

مفهوم البيان وأنواعه وأفات اللسان

المبحث الأول : مفهوم البيان وأنواعه 18-29

مفهوم البيان..... 18

أنواع البيان 18

أفات اللسان..... 29

الفصل الثاني أراء الجاحظ حول الشعر ونقده والبيان في الشعر

المبحث الأول أراء الجاحظ حول الشعر 42

المبحث الثاني : البيان في الشعر..... 54

الفصل الثالث الخطابة وأنواعها

المبحث الأول الخطابة 58-67

المبحث الثاني أنواع الخطابة 58

المبحث الثالث نموذج تطبيقي 58

الخاتمة 70

قائمة المصادر والمراجع 73